جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

العلوم الإنسانية

مذكرة ماستر

علوم إنسانية

تاريخ

تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

رقم: 08

إعداد الطالبتين:

1. **قصوري دنيا.**
2. **قاسم إيمان.**

يوم: 2023/06/18

تطور الصناعة في المغرب الاوسط(2-9هـ) وتأثيراتها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية

لجنة المناقشة:

د.ومان حورية	أ . مح أ	جامعة بسكرة	رئيسا
د. كربوع مسعود	أ.مح أ	جامعة بسكرة	مشرفا ومقررا
د.بن مسعود مبروك	أ. مح أ	جامعة بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية:2022 – 2023

شكر وعرفان

اول من يشكر ويحمد أناء الليل وأطراف النهار، هو العلي القهار، الأول والأخر، الذي اغرقنا بنعمه التي لا تعد ولا تحصى وأنار دروبنا، فله جزيل الشكر والثناء العظيم، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين الذي أرسله بقرانه المبين فعلمنا ما لم نعلم وحثنا على طلب العلم أينما وجد.

لله الحمد كله والشكر كله ان وفقنا وألهمنا الصبر على المشاق التي واجهتنا لإنجاز هذا العمل المتواضع.

والشكر موصول الى كل معلم أفادنا بعلمه واخص بالذكر الأستاذ المشرف كربوع مسعود الذي أكن له التقدير والاحترام على التوجيهات والملاحظات القيمة الذي أفادني بها طوال انجازي لعملي هذا.

واشكر أساتذة التربص الميداني بنصائحهم وإرشاداتهم وكل من مد لي يد العون من قريب او بعيد.

كما يسعدني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بمناقشة هذه المذكرة وإبداء ملاحظاتهم.

وفي الأخير لا يسعنا إلا ان ندعو الله عز وجل ان يرزقنا السداد والرشاد والعفاف والغنى .

الإهداء

الحمد لله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى وأهله

أما بعد:

الحمد لله الذي وفقني لتثمين هذه الخطوة في مسيرتي الدراسية في مذكرتي هذه ثمرة الجهد والنجاح بفضله تعالى مهداة الى من علماني أبجدية الوجود،الى من ساندتني في صلاتها ودعائها الى من شاركتني أفراحي الى أجمل ابتسامة في حياتي الى أمي الغالية على قلبي حفظها الله وأدامها تاج فوق رأسي.

الى من علمني أن الدنيا كفاح وسلاحها العلم والمعرفة الى أفضل رجل في الكون أبي العزيز "خميسي"، الى والدي الكريمين حفظهما الله أدامهما نور الدرب.

الى من يذكرهم القلب قبل أن يكتب القلم الى من قاسموني حلو الحياة ومرها تحت السقف الواحد إخوتي وأخواتي:

الى سندي في الحياة إخواني: عماد ومحمد الصديق .

والى شمعة العائلة الكتكوت الصغير: رائد حفظه الله ورعاه .

الى مثالي الأعلى وقدوتي في الحياة ومن ساعدتني ولن أوفي بحقها أختي الحبيبة: عبير .

الى توأم روحي ونبض قلبي وحبيبتي الصغيرة: دعاء .

والى أغلى ما أملك في الحياة: جدتي وخالتي أطال الله في عمرهما وشفاهما .

والى عمتي بمثابة جدتي الثانية شفاها الله وعفاها وأطال في عمرها، وبناتها وأبنائها كلا باسمهم .

الى كل من كان لهم أثر على حياتي، وكل من أحبهم قلبي

الى كل من يفكر ويبحث للارتقاء بالعلم في كل مكان .

الى أحسن من عرفني بهم القدر عبر طيات الحياة وسنين الدراسة التاريخية بصمات الحب والوفاء في ذكرياتي أصدقائي الأعزاء .

دنيا قصوري.

الاهداء

الى معلم البشرية ومنبع العلم نبينا محمد صلي الله عليه وسلم.

الى من انار سبيلي وزرع حب العلم في قلبي الى الذي كان دائما سندي في عملي ومعي جاهدا ليريح بالي والدي العزيز.

الى منبع الحنان وزهرة الأمان وروح امالي وسلامي وصدر اطمئناني ... الى من تفرح لفرحي وتحزن لحزني وتمرض لمرضي وتصحى لشفائي اليك وليدتي العزيزة.

الى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة الى اخوتي طيب، رشيد، خالد، عفاف، نرجس، نجاح.

الى نبض قلبي صغيرتي ابنة اختي وتين.

الى شريك حياتي وتوأم روحي وسند عمري زوجي العزيز.

الى كل اساتذتي من المرحلة الابتدائية الى الجامعية.

الى من اتسعت لهم ذاكرتي ولم تتسع لهم رسالتي اهدي عملي هذا.

الرمز	المعنى
د ت	دون تحقيق
ط	طبعة
د ط	دون طبعة
ج	جزء
هـ	الهجري
م	الميلادي
مج	مجلد
تر	ترجمة
تع	تعليق
تح	تحقيق
ص	صفحة
ت	توفي

مقدمة

تعتبر الحياة الاقتصادية من ابرز ملامح الجوانب الحضارية لتاريخ كل الأمم،لأنها لا تزدهر ولا ترقى إلا بتقدم اقتصاده ا بجميع جوانبه ونخص بالذكرهنا الصناعة وقد أولى ديننا الإسلام هذا الجانب اهتماما بالغا ، فقد حث الإسلام على العمل و قيده بالإخلاص والإتقان **لقوله صلى الله عليه وسلم** : (إذا عمل أحدكم عملا فليتقنه) فشدد على الغش وعدم التفاني في العمل كما سعى الى كف الضرر على الناس في جميع المجالات ، وهناك العديد من الآيات القرآنية التي تحث الإنسان على العمل والاستثمار في الأرض واكتساب الحرفة والصنعة فالدين الاسلامي حثنا على العمل وإتقانه لذلك رفع مكانة الحرفيين والصناع وكانت بداية ظهور هذه الأخيرة منذ القرن (2-9هـ)، فانتشرت أسماء وألقاب تدل على الحرفة والصنعة كقول فلان الخياط او الخباز ،او الحداد او الصباغ...الخ، وقد حظيت بلاد المغرب الاسلامي بتقدم وتطور الحرف والصناعات وهذا راجع الى وفرة المنطقة على مواد الخام من ثروة حيوانية وزراعية ومعدنية ناهيك عن تقدم العمران البشري ، فمدينة فاس مثلا انتشرت بها الحرف والصناعات بكثرة فكانت هذه الحرف والصناعات يدوية تقام وتصنع في البيوت والمحلات والحوانيت، وهناك حرف وصناعات اخرى تكون خارج المدن وهذا بتجنب الضرر للسكان وكان الحرفيون والصناع ذو مهارة وخبرة وصبر في اعماهم وكانت الحرف والصناعات تكفي ضروريات الحياة المعيشية فعرفت الصناعة والحرف نهضت قوية من خلال انتشار مراكزهما وتنوعهما بالإبداعوالإتقان وتأثرهما بالأساليب الفنية المعروفة آنذاك في المغرب الإسلامي والاندلس، وهذا ما اشار اليه الباحثين المهتمين في دراستهم للبقايا الأثرية من الصنائع والفنون التطبيقية الموجودة من خلال البحث والتنقيب فحظيت بلاد المغرب الاسلامي بتطور وتقدم الحرف والصناعات منذ ان كثر العمرانوحل الأمن والاستقرار ومنذ ان تلقت من المشرق الاسلامي حضارته المتنوعة كون المشرق الاسلامي مهد الحضارات القديمة، وعليه جاء عنوان دراستنا الذي يتمثل في: **تطور الصناعة في المغرب الأوسط (2-9هـ) وتأثيراتها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية.**

أهمية الدراسة:

كما ان الموضوع اهمية كبيرة بحيث تعتبر الصناعة من الأسس الهامة والضرورية في اقتصاد المجتمع، ومرهون تقدمها وتطورها دائما بمجموعة من العوامل كالاستقرار السياسي ووفرة اليد العاملة ، و ان الجانب الاقتصادي من أهم الجوانب التي تهتم بها الدولة والمجتمع في نفس الوقت جاءت هذه الدراسة لتبيان أهمية الاقتصاد فيما يتعلق بالحرف والصناعات بالإضافة الى ذلك تسليط الضوء على هذا المنظور بذاته ما هو إلا تقديم صورة واضحة وبسيطة عن الحرف والصناعات ودور الحرفيين في تطوير الصناعات القديمة وبروز صناعات جديدة في منطقة غنية بالموارد .

إشكالية الموضوع:

ولمعالجة موضوعنا بجميع جوانبه يمكننا ان نطرح الإشكالية الرئيسية المتمثلة في:

ما مدى تأثير التطور الصناعي في بلاد المغرب الاوسط في الفترة الممتدة (2-9هـ) على الزراعة والتجارة (الحياة الاقتصادية) ومختلف الجوانب الاجتماعية؟

ويمكننا اثراء هذه الاشكالية بطرح تساؤلات التالية:

1/ما مفهوم الصناعة؟

2/فيما تتمثل أهم الصناعات في المغرب الأوسط؟

3/ماهي العوامل المؤثرة في ازدهار النشاط الصناعي؟

4/فيما يكمن دور النشاط الصناعي؟ وكيف كانت علاقته بالزراعة والتجارة؟

5/كيف أثرالنشاط الصناعي على الحياة الاجتماعية؟

أسباب اختيار الموضوع:

يعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع الى جانبان أحدهما ذاتي والاخر موضوعي، يتمثل الجانب الذاتي في رغبتنا لتناول هكذا موضوع يخص الجوانب المتعلقة بالمجال الاقتصادي وكذلك

رغبتنا في معرفة المجهودات التي قامت بها بعض خلفاء الدول من اجل جعل هذه الصناعات والحرف مورد هاما لزيادة الحاصلات المالية.

اما الأسباب الموضوعية تتمثل في:

بروز الحاجة الماسة لدراسة أهل الحرف والصناعات في المغرب الاسلامي باعتبارها القوى الاجتماعية العاملة التي لم تلقى الاهتمام الكبير من قبل المؤرخين الذين لا طالما اهتموا بالتأريخ للخلفاء والسلاطين أهملوا هذه الفئة التي تشكل عصب الواقع التاريخي .

كما ان دراسة الحياة الاقتصادية ليس بالأمر اليسير لذا ارتأينا الغوص في هذه الدراسة والمساهمة ولو بجزء بسيط في صرح البحث التاريخي.

منهج الدراسة:

وبالنسبة للمنهج المتبع لدراسة هذا البحث هو المنهج التاريخي والذي يقوم بوصف الأحداث التاريخية كما هي قائمة وهو منهج لا يمكن الاستغناء عنه في الكتابات كما استعنت ببعض آلياته من وصف وتحليل، فبالنسبة للمنهج الوصفي فقد اعتمدنا عليه في وصف الحالة العامة للصناعات والصناع، اما المنهج التحليلي فقد اعتمدنا عليه في مناقشة بعض ما جمعناه من معلومات تاريخية من المصادر بشكل يخدم الموضوع.

خطة البحث:

بدأنا بالمقدمة التي وضحنا فيها أهمية وإشكالية الموضوع والمنهج المتبع في خطة الموضوع وعرض ونقد المصادر والمراجع والصعوبات التي واجهتنا ثم تطرقنا بعدها الى الفصل التمهيدي والذي يتكون من مطلبين هما:

فالمطلب الأول يتضمن مفهوم الصناعة لغة اما بالنسبة للمطلب الثاني جاء بعنوان مفهوم الصناعة اصطلاحا، ثم تطرقنا إلى صلب الموضوع وكان الفصل الاول بعنوان واقع النشاط الصناعي في المغرب الأوسط (2-9ه) يندرج تحته ثلاث مباحث فالمبحث الاول معنون بأنواع النشاط الصناعي والذي أدرجنا فيه أهم الصناعات التي كانت في بعض الدول ومنها

صناعة التعدين وصناعة النسيج والصناعة الخشبية والصناعة الغذائية في كل من الدول الرستمية، الفاطمية الحماديةوالزبانية، اما المبحث الثاني فكان بعنوان العوامل المؤثرة في النشاط الصناعي وحاولنا في تقسميه الى العوامل الطبيعية وعوامل بشرية وعوامل سياسية ،اما في المبحث الثالث تطرقنا فيه الى السياسة الصناعية اما بالنسبة الى الفصل الثاني فكان بعنوان تطور النشاط الصناعي وعلاقته بالزراعة والتجارة يندرج تحته ثلاث مباحث حيث جاء عنوان المبحث الاول دور الصناعة في الزراعة اما المبحث الثاني فكان بعنوان دور الصناعة في التجارة اما المبحث الثالث فكان يحمل عنوان دور الصناعة في التنظيمات اما الفصل الثالث جاء تحت عنوان تطور النشاط الصناعي وتأثيره على الحياة الاجتماعية وقسمناه الى مبحثين حيث تطرقنا في المبحث الأول الى المستوى المعيشي الذي يخص كل من الدول الرستمية والفاطمية الحمادية والزبانية ،اما المبحث الثاني تطرقنا فيه الى الحياة العامة والتي تخص الدويلات المستقلة .

وقد ختمنا بحثنا هذا بمجموعة من الاستنتاجات المتوصل إليها من خلال دراستنا لهذا الموضوع.

مما سبق من الموضوع اعتمدنا على المصادر والمراجع لإثراء موضوعنا نذكر منها:

كتب التاريخ العام:

-كتاب ابن عذارى المراكشي: الذي حيا سنة 712هـ/1312م من اهم كتب تاريخ المغرب الاسلامي على الاطلاق يقع هذا الكتاب على أربع أجزاء، حيث يتحدث عن الدولتين الزيانية والحمادية ولا يغفل جانب علاقات الفاطميين بهما وهو بذلك من أكثر مصادر تاريخ المغرب الاسلامي تفصيلا واثارها مادة.

-كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي شأن الأكبر، وكتاب المقدمة، لابن خلدون عبد الرحمن (ت 808هـ/1406م) وقد استفدت منه في مفهوم الصناعة، اما المقدمة فقد استعنت بها كثيرا في تحليل النواحي الاقتصادية، نذكر منها

ضرورة التلازم بين قلة الضرائب واتساع العمران لتطوير الصناعة والزراعة، اضافة الى معلومات عن أهم المسكوكات في المغرب الأوسط .

-كما استعنت ايضا بكتاب القاضي النعمان: افتتاح الدعوة الذي أفادني في كثير من مظاهر الاقتصاد في الدولة الفاطمية، فهي تحتوي على معلومات مفصلة وقيمة حول هذه الفترة والذي أفادنا في بحثنا كثيرا فقد ركزنا عليه فيما يخص الفصول المتعلقة بالدولة الفاطمية.

-تقي الدين احمد بن علي المقريزي (المتوقي سنة 874هـ/1441م) الخطط واتعاظ الحنفا، من بين المصادر القيمة التي أفادتنا كثير في بحثنا هذا خاصة في الجانب الاجتماعي والتي احتوت على معلومات عظيمة ومهمة حول الدولة الفاطمية منذ ظهورها في إفريقيا نهاية القرن الثالث هجري التاسع ميلادي، والى غاية سقوطها في مصر في القرن السادس.

المصادر الجغرافية:

- استعنت بكتاب نزهة المشاق في اختراق الأفاق لأبي عبد الله الإدريسي (ت 560هـ/1164م) ويعتبر هذا المصدر من المصادر الجغرافية اعتمادا لأنه يحتوي على جوانب اقتصادية مختلفة.

- معجم البلدان لمؤلفه شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الرومي البغدادي (ت 62هـ/1228م) لهذا الكتاب قيمة كبيرة ويعتبر موسوعة شاملة قدمت للبحث فائدة كبيرة وقد امتاز هذ ا الكتاب بوفرة معلوماته ودقة مادته.

-كتاب صورة الأرض لابن حوقل النصيبي (ت 367هـ/977م) يعتبر أقدم رحلة نمتلكها اليوم عن بلاد المغرب الاسلامي امتاز منهجه بأنه على معرفة الشخصية المكتسبة من أصفاره وشهادتهم الذي ظهر نتاجه في هذا المجال متكاملا وخاصة فيما يخص بلاد المغرب الأوسط من حيث ذكره لطبيعة الأرض والمحاصيل الزراعية والثروات الطبيعية والصناعات.

-كتاب المسالك والممالك لأبي عبد الله البكري (ت 487هـ/1094م) له معلومات غاية في الأهمية خاصة فيما يتعلق ويخص بلاد المغرب الأوسط، ويعتبر البكري اول من استعمل هذا المصطلح بعد توضيحه لحدوده ومعالمه في القرن الخامس هجري فضلا عم ذكره عن

الأوضاع الاقتصادية بذكر ثوراته الباطنية ومحاصيله الزراعية ومصنوعاته المنتوجة

كتب المعاجم:

-تشكل كتب المعاجم مما تحتويه من مادة علمية من ضبط المصطلحات الجغرافية والاقتصادية خاصة التي تعلق بمجال الدراسة التاريخية الوسطية نذكر منها:

- لسان العرب لابن منظور ابو الفضل جمال بن محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت711هـ).

-ابن سيدة: كتابه المخصص اعتمدنا عليه بالتعريف في الصناعات.

-الجوهري: الصحاح تاج اللغةوصحاح العربية اعتمد عليه في التعريف بالصناعات وغيرها من المصادر التي أفادتنا بمعلوماتها.

<u>أما عن المراجع:</u>

اما عن المراجع التي أثرت على موضوعي فهي كثيرة ومتنوعة ومتعددة أهمها:

- كتاب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع هـ /التاسع والعاشر ميلادي جودت عبد الكريم يوسف،ويتعرض الكتاب لدراسة مفصلة عن الجانب الاقتصادي للمغرب الأوسط من زراعة وصناعة وتجارة ...الخ.

-كما استفدت كذلك من كتاب اقتصاد النسيج من الغرب الاسلامي في العصر الوسيط لهدية محمود والذي أفادني كثيرا حول صناعة النسيج في المغرب الأوسط.

- واستفدت كذلك من كتاب الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها رشيد بورويبة فبالرغم من انه شمل جميع الجوانب الحضارية للدولة الحمادية الا انه خصص الفصل الثاني للحياة الاقتصادية بجميع جوانبها.

-إبراهيم بحاز: وكتابه الدولة الرستمية ويعتبر من المراجع المهمة التي لا غنى للباحث عنها وقد استفدنا منه تقريبا في كل البحث.

-استفدنا ايضا من كتاب الحبيب الجنحائي: المعنون بالمجتمع العربي من خلال ما ذكره من المعلومات التي تخص المجتمع الرستمي وبعض جوانبه الاقتصادية.

-استفدنا ايضا من كتاب موريس لومبارس: المغرب الاسلامي في اول مجده الاول من القرن (2-5هـ) (8-11م) والذي استفدنا منه في كل فصول البحث تقريبا بالإضافة الى مرجع هدية محمود.

-كتاب الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي مؤلفه الدكتور عبد المنعم عبد الحميد سلطان الذي قدم لنا تفاصيل مهمة عن الأوضاع الاجتماعية التي عاشها المغرب الاسلامي خلال العصر الفاطمي.

-كتاب تلمسان في العهد الزياني لعبد العزيز فلالي الذي يعتبر أحد أهم المراجع التي تطرقت لهذه الدولة في كل المجالات السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية.

-كتاب تاريخ الدولة الزيانية لمختار حساني.

-محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية في المغرب الاسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160هـ/296هـ) والذي أفادني في صناعة النسيج في الدولة الرستمية.

- أحمد موسى عزالدين: النشاط الاقتصادي في تاريخ المغرب الاسلامي.

- ايضا اعتمدت على محمد عمارة المتمثل في قاموس المصطلحات في الحضارة الإسلامية.

-اما عن الدراسات السابقة:

أما عن الدراسات التي اعتمدت عليها في دراستي هذه نذكر ما يلي:

-الياس حاج عيسى: الحياة الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي (398-547هـ) (1007-1152م) أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط.

-سكاكو حورية: التحولات الاقتصادية في بلاد المغرب بداية من القرن (6هـ حتى اواخر القرن 10هـ/12-16م)، أطروحة دكتوراه.

صعوبات الدراسة:

بطبيعة الحال كل باحث مبتدئ ستواجهه صعوبات أثناء إعداد أي دراسة من الصعوبات التي واجهتنا أثناء القيام بهذه الدراسة:

-نقص المصادر المتخصصة في الجانب الاقتصادي بصفة عامة.

-صعوبة الحصول على المادة العلمية المتناثرة في بطون المصادر المختلفة مما تطلب منا جهدا كبيرا لجمعها وخاصة أن الجانب الاقتصادي معلوماته قليلة مقارنة بالجانب السياسي.

-كثرة الحرف والصناعات في بعض الدول فصعب علينا جمعها مما أدى الى ذكر أشهر وأهم الحرف الموجودة في المغرب الاسلامي.

الفصل التمهيدي

المبحث الأول: المفهوم اللغوي

المطلب الأول:لغة

حرفة الصانع وعمله الصناعة، والتصنيع تكلف حسن السمت [1]ويقال رجل صنيع اليدين أي صانع حاذق ويقال امرأة صناع أي حاذقة ماهرة بعمل اليدين والصنع بالضم وسكون النون هو إيجاد شيء مسبوق بالعدم[2]، لقوله تعالى " علمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بؤسكم فهل أنتم شاكرون[3]"، ويقال صنعة يصنعها صنعا فهو مصنوع بقوله تعالى: » صنع الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون [4] » ، ويقال الصناعة بفتح الصاد يقصد بها المحسوسات والصناعة بالكسر يقصد بها المعاني.

يعرفها ابن منظور: بصنع صنعة يصنعه صنعا أو الصناعة حرفة الصانع وعمله الص نعة والصناعة ما نستطيع من أمره ورجل صنع اليد وصناع اليد من قوم صنعيالأيدي وصنع[5].

-وأما سيبوبة فقال: "لا يكسر صنع ، استغلوا بالواو والنون ورجل صنيع اليدين وصنع اليدين بكسر الصاد أي صانع حاذقا وكذلك رجل صنع اليدين بالتحريك [6].

-وأما الجوهري فيعرفها: الصناعة: حرفة الصانع، وعمله الصنعة، والرجل صنيع اليدين وصنع اليدين أيضا بكسر الصاد أي صانع الحاذق[7].

---

[1]. جديد عبد الرحيم: نماذج من حرف وصنائع البناء والعمارة بالمغرب الأوسط عصر الدولتين الحمادية الزيانية، مجلة الحكمة لدراسات التاريخية جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة2، مجلد5 العدد1 1، ص142-143.

[2]. نفسه ص143.

[3]. سورة الأنبياء الآية (80).

[4]. سورة النمل الآية(88).

[5]. ابن منظور (711هـ, 1311) لسان العرب: ت ح، عبد الله علي الكبير وآخرون د.ط، دار المعارف، القاهرة، د ت ن، مج 2 ، ص377.

[6]. سيبوبة، نقلا عن ابن منظور، ص377.

[7]. الجوهري إسماعيل بن حماد (ت398 -1007م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ت ،ح ، أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ،ط3،،بيروت 1984، ص776.

ويقول ابن سيدة في الصناعة: صنع الشئ يصنعه صنعا فهو مصنوع وصنيع عمله ومن أحسن صنع الله عندك واستصنعت الام ر, دعوت الى صنعه والصناعة ، أي اتخذته صناعة والصناع الذين يصنعون بأيديهم[1] فكل صناعة تعمل باليدين [2].

فالصناعة حرفة الصانع والصناع مفرد صانع هم الذين يصنعون بأيديهم [3].

يقول المقريزي[4] الصناعة مأخوذة من قول صنعة يصنعه فهو مصنوع وصنيع عمله". والرجل صنيع اليدين أي صانع حاذق يعمل باليدين والصناعة حرفة الصانع وعمله الصناعة والصنعة.فحرفة الصانع وعمله الصناعة والتصنيع تكلف حسن السمت[5] وقال رجل صنع اليدين اليدين أي صانع حاذق وقال امرأة صناع أي حاذقة ماهرة بعمل اليدين [6] والصنع بالضم وسكون النون هو ايجاد شئ مسبوق بالعدم [7] لقوله تعالى "وعلمناه صنعة لبوس لكم لِيُحْصِنَكُم لِيُحْصِنَكُم من بأسكم فهل أنتم شاكرون " [8]، ويقال صنعة بصنعة صنعا فهو مصنوع لقوله تعالى: " صنع الله الذي أ تقن كل شئ إنه خبير بما تفعلون "، [9] ويقال الصناعة بفتح الصاد يقصد بها المحسوسات والصناعة بالكسر يقصد بها المعاني[10].

---

[1]. ابن سيدة ، ابن الحسن على بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي (ت 458ه 1065م) :المخصص،د ط ،دار الكتاب العلمية ،بيروت ،لبنان، د ت ن ،سنة12 م، ص257.

[2]. إخوان الصفا(عاشو في القرن 3 ه,1م) :رسائل إخوان الصفا وحلان الوفاء, مراجعة خير الدين الزر كلي،مؤسسة وي سي أي سي، ج1، مملكة متحدة 1/26، 2018م،ص 161.

[3]. محمد عمارة : قاموس مصطلحات في الحضارة الإسلامية، ط1 ،دار النشر،بيروت 1413ه 1993م ، ص334.

[4]. تقي الدين أحمد بن على المقريزي (ث845ه) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروفات بالخطط المقريزية،ج3 ت ح محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، م : أحمد زياد، دار الأمين، ط1، القاهرة1998، ص5.

[5]. إسماعيل ابن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية, تحقيق أحمد عبد الغفور عطار, ط4, دار العلم للملايين, بيروت .لبنان 1984م, مج4, ص776-775.

[6]. .مجد الدين محمد ابن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط ت ح مكتب التراث من مؤسسة الرسالة ,ط8.د م.2005, ص739.

[7]. محمد علي: معجم كشاف اصطلاحات العلوم والفنون , د ط، د ن, ص1197.

[8]. سورة الأنبياء الآية(80).

[9]. سورة النمل الآية (88).

[10]. داغر شريل : الفن الإسلامي،ط1, دار الآثار الإسلامية، الكويت1989م، ص38.

وقيل أنها بالكسر حرفة الصنائع وقيل هي أخص من الحرفة لأنها تحتاج في حصوله الى المزاولة[1]، وفي قوله تعالى: وهم يحسبون أنهم يحسبون صنعا [2] والصناع الذين يصنعون بأيديهم [3].

من خلال التعريفات اللغوية السابقة نستنتج أن الصناعة تدخل ضمن تعريف واحد صنع الشئ أي عمله وأبدع فيه وهي كل ما يصنع من طرف شخص صانع اليدين .

قد حث الإسلام على العمل وإتقانه ، أو ما يعرف بالصناعة في قوله تعالى ' وإصطنعتك لنفسي[4] وقوله تعالى أيضا: ' وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس [5] كما يقال: فلان اصطنع فلان بمعنى اتخذه.

وقال تعالى ايضا : (ولِكل درجات مما عملوا ولنوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون)[6]جميع هذه الآيات القران الكريم تخبرنا عن العمل أو الصناعة التي هي لها ثوابها في الدنيا والآخرة .

[1]. عمار عمورة: موجز في تاريخ الجزائر، دار الريحانة للنشر والتوزيع، ط1،ص43.

[2]. سورة الكهف الآية (104).

[3]. أحمد الشرباصى: المعجم الاقتصادي الإسلامي لدار الجبل، 1981، ص257.

[4]. سورة طه الآية (41).

[5]. سورة الحديد الآية (25).

[6]. سورة الاحقاف الآية (19).

المطلب الثاني: اصطلاحا

الصناعة هي كل نشاط يتفاعل فيه الإنسان مع البيئة المحيطة ليطوعها لاحتياجاته ويصنع منها العالم أشيائه [1] ويعرفها ابن خلدون الصناعة : هي ملكة في أمر علمي فكري بكونه عمليا هو جسماني محسوس [2]، وتعني الصناعة هي تصنيع الإنتاج الزراعي وما يتصل به واستنباط المعادن وتصنيعها والاستفادة من ذلك كله في متطلبات الإنسان الضرورية والكمالية[3].

فالصناعة هي عبارة عن عمل يدوي يجريه الصانع في صنعته ويكون مما يغير في ذات المصنوع [4]، فالصنائع منها البسيط ومنها المركب ، والبسيط هو الذي يختص بالضروريات والمركب هو الذي يكون للكماليات[5].

والصناعة هي العلم المتعلق بكيفية العمل الملكة هي الكيفية الراسخة في الذهن [6]، ولاحظ أن الصناعة في مجمل معناها أنها كل عمل يدوي جهدي يقوم به صاحب الصنعة, أي كل ما يصنع باليدين، فهو من يقوم بإتقانها وحرص عليها، فهو حاذق ومحافظ، فهو أهل لها وهذا ما نلاحظه عند ابن فرحون (ن 799هـ) في قوله: {صناع اليدين خيرا} [7]، وقول إخوان الصفاء: 'استعينوا على كل صنعة بأهلها[8].

---

[1]. عمر بلبشير: مساهمة في النشاط الصناعي والحرفي في بلاد المغرب، مجلة مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية-جامعة معسكر-العدد الرابع 2013, ص286.

[2]. ابن خلدون ، أبو زياد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي(ت808هـ-1406م) :العبر ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تح خليل شهادة وسهيل زكار د ط, دار الفكر، بيروت، لبنان ،.1424هـ-200م,ص 202.

[3]. أحمد موسى عز الدين: النشاط الاقتصادي في تاريخ المغرب الإسلامي ,،ط1,دار الشروق بيروت، لبنان ,1403هـ-1983م,ص 207.

[4]. مصطفي الزغول جهاد غالي : الحرف والصناعات في الأندلس من الفتح الإسلامي حتي سقوط غرناطة, الجامعة الأردنية, كانون الثاني,1994, ص15

[5]. أبن خلدون: العبر، المصدر السابق,ص202.

[6]. محمد سعيد القاسمي: قاموس الصناعات الشامية، تحقيق ظافر القاسمي ومحمد سعيد القاسمي، ج1، ص13.

[7]. إبراهيم بن النور الدين المعروف بابن فرحون المالكي (ت799هـ): الديباج المذهب في معرفة أعباء علماء المذهب ،ت، ح مأمون بن مجيب الدين الجنان ، ط1, دار الكتب العلمية بيروت، لبنان,ص 112.

[8]. إخوان الصفا،المصدر السابق, ص288.

إن كل صانع من النشر لابد له من أداة أو أدوات أو آلة أو آلات يستعملها في صنعته والفرق بين الآلة والأداة ، أن الآلة هي اليد والأصابع والرجل والرأس والعين وبالجملة أعضاء الجسد والأداة هي ما كانت خارجة من ذات الصانع كفأس النجارة والمطرقة [1]، وقوله ابن خلدون : {ورسخت فيهم الصنائع}[2] .

وبذكر القاسمي في قاموس الصناعات الشامية: قال بعضهم: والفرق بين الصناعة والحرفة"[3]".

والملاحظ أن المعاجم العربية أنها لا تعطي الفرق بين الصناعة والحرف بل تعتبرها واحدا وان كان ارتباطهما بإتقان الفعل المادي وتنمية المال غير أن النصوص الخلدونية شكلت المنطق النظري للعديد من الباحثين خاصة في موضوع الصنائع التي فصلت في الإشكالية ووضعت سياق مفهوما واضحا فيما بين المصطلحين[4].

والفرق بينهما فالصناعة ما وصلت بالممارسة والتمرن فهي أخص من الحرفة التي لا تحتاج إليهما وقيل أن الصناعة ما كانت بالأعمال اليدوية حتي قيل فلان صناع اليدين بخلاف الحرفة فإنها تكون بدون ذلك[5], فيعرفها ابن منظور: الصناعة عبارة عن عمل يدوي يجريه الصانع في صنعته، ويكون مما يغير في ذات المصنوع كالحدادة، الصناعة، التجارة[6].

فالصناعة هي عبارة عن عمل يدوي بجريه الصانع في صنعت ه،ويكون مما يغير في ذات المصنوع, كالطحانة و الخبازة والصناعة ، أو في صفته كالتجارة والحدادة والصباغة, وفي هذه وأمثالها يسمى المصنوع باسم غير إسم مادته[7].

ويبدو أن مفهوم الحرفة أعم وأشمل من مفهوم الصناعة ، حيث يدخل في نطاق الحرفة كل عمل يقوم به الإنسان فالحرفة هي الطعمة والصناعة التي يرتزق منها ، وهي جهة الكسب

---

[1]. إخوان الصفا،المصدر السابق ص288.

[2]. ابن خلدون: العبر , المصدر السابق,ص181.

[3]. محمد سعيد القاسمي ،ص30.

[4]. عمر بلبشير،المرجع السابق ، ص287.

[5]. محمد سعيد القاسمي ، المرجع السابق ،ص13.

[6] .ابن منظور, المصدر السابق, ص209

[7]. جهاد غالب مصطفي الزغول ،المرجع السابق. ص14.

"والاحتراف هو الاكتساب أيا كان [1] ، وبهذا تكون الحرفة عبارة عن كل وجه يتقلب فيه الإنسان ويتصرف للكسب, حتى تشمل التجارة والزراعة وتعليم العلوم والسمسرة و الطباعة, و القبالة, والصيدلة, والطباخة في الأسواق والتجارة والخياطة والصناعة والدباغة ، والوراقة ، والحدادة، والصياغة، والبناء[2].

أما الصناعة فهي عملية تحويل المواد الأولية إلى مواد أخرى أكثر فائدة منها وهذا يتطلب استغلال ثروات البلاد الطبيعية من حاصلات زراعية ، وأخشاب ومعادن وغيرها ، وتسخيرها لخدمة الصناعة، كاستغلال القطن والحديد والكتان في صناعة المنسوجات, واستغلال الأخشاب في صناعة السفن وأعمال التجارة واستغلال المعادن في صناعات الحدادة والصباغة غيرها وهذه الصناعات التحويلية يمكن أن نطلق عليها اسم (الحرف والصناعة) وهي بمفهومها هذا تدخل في نطاق مفهوم الحرفة.

ونجد في مصادرنا ما يشير الى ذلك فهذا المجيلدي (ت 1094هـ/1282) ليشير الى أهل "الحرف والصنائع" ، ويذكر منهم: الدباغ–والسمسار والخزار* ، والبناء والكاتب والصانع ، والشراط*,والخياط, والبرام والصفار* ، والقواس والخراط* والفخار والحائك, والنجار والرماح, والحداد[3] ويشير في موضع آخر الى أهل الحرف ويذكر منهم الخزار والحداد [4].

---

[1]. نفسه، ص 14.

[2]. نفسه،،ص15.

*الخزار: محترف صناعة الخرازة وهي صناعة الجلد والأحذية، المجيلدي أحمد بن سعيد (ت 1094هـ–1682): التسيير في أحكام التسعير، تقديم وتحقيق موسى لقبال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1970م،ص93.

*الشراط : صانع شريط الدوم المستعمل لربط البضائع والجمع الشراطون، مصطفي الزغول، مرجع سابق ص15.

*الصفار: صانع الصفر، والنحاس الأحمر من الصفر والفلز، والصفر جنس يجمع النحاس واللاطون، والفلز: النحاس الأبيض ،ابن سيدة : المخصص، مج3،ص25

*الخراط: محترف خراط الأعواد والأخشاب وحرفته متممة للتجارة مصطفى الزغول، ص15.

[3]. المجيليدي(ت 1094–1346م) ابو العباس احمد بن سعيد : التسيير في أحكام التسعير، تح ،موسى لقبال،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط1 ، الجزائر ، 1981م ، ص83.

[4]. نفسه، ص55.

وكذلك نجد إشارات تذكر أهل (الصناعات والحرف) [1] (وأهل الصنائع والحرف) [2](وأصحاب الصنائع والمهن) [3](وأهل الصنائع) [4]و"أرباب الصنائع [5] و(أصحاب الصناعات) [6]وهذه الإشارات تشعرنا بوجود فارق بين الحرفة والصناعة.

كذلك ما نجده عند الأزهري في تعريفه للصناعة:" أما الصنعة فهي ما ينتج من عمل الصانع كالسيف, والسكين من عمل الحداد, والخزانة, والصندوق من عمل التجار [7] فالصناعة فالصناعة هي عملية تحويل المواد الأولية الى مواد أخرى أكثر فائدة منها [8] قال تعالى: ' واصنع الفلك بأعينن'[9].

والصناعة هي جهة الكسب التي يرتزق منها الإنسان [10] فهي كل عمل يقتضي استعمال الأيدي "الأعمال اليدوية[11] وابن خلدون عرفها على أنها ملكة في أمر عملي فكري وبكونه عمليا هو

---

[1]. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ-1111م) : أحياء علوم الدين 2 أجزاء,دار المعرفة الطباعة والنشر،بيروت -لبنان ,د ت، ص73.

[2]. المكناسي الاكسبر في فكاك الأسير، تحقيق محمد الفاسي المركز الجامعي والبحث العلمي الرباط ،1965م,ص171.

[3]. مصطفي الزغول, المرجع السابق, ص15.

[4]. ابن حوقل أبو القاسم النصيبي (ت380هـ-990م):صورة الأرض قسمان, منشوران, دار مكتبة الحياة, بيروت ،د ت, ص109.

[5]. السقطي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي(ت في نهاية القرن 5 هـ-11م) : في آداب الحسبة باعتناء كون وليفي بروفيتال الباريز, 1931,ص9.

[6]. ابن حيان : المقتبس في أخبار بلاد الأندلس,تحقيق عبد الرحمان الحجي ، دار الثقافة, بيروت, لبنان, د ت ,ص20.

[7]. أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 370هـ) : تهذيب اللغة،ج2، تح: عبد الله ريش مراد محمد على النجار، الدار المصرية للتأليف الترجمة،(د.ط)، القاهرة(د.ت)،ص37.

[8]. المجيليدي، أحمد سعيد المجيليدي(1094م): التسير في أحكام التسعير، المصدر السابق ص83.

[9]. سورة هود الآية (37).

[10].الزبيدي: محمد مرتضى الحسني الزبيدي(ت1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس،ج23 تح، عبد الفتاح الحاو، مر: مصطفي مجازي-التراث العربيد د،ط ،الكويت ،1986 ،ص223.

[11]. عائشة عطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر1700-1830،ج1،رسالة لنيل شهادة الدكتورة، الجزائر،2000،ص146.

جسماني محسوس [1] أي ان الصناعة هي العلم المتعلق بكيفية العمل والملكة هي الكيفية الراسخة في الذهن [2].

بينما يذهب علماء الاجتماع والاخلاف في القول ان الصناعة هي كل عمل شريف يؤدي فيه الفرد خدمة المجتمع ويعني بالترف كل ما تحضره الآداب والأخلاق العامة والنظام العام ولا يقصد به ما كان مهنيا في نظر فئة الناس [3] والصناعة في النوع الإنساني كثيرة لكثرة الأعمال الأعمال المتداولة في الأمصار منها الصندوق في العمران الشريف بالموضوع أو الممتهن في الغالب, فأما الضروري كالفلاحة والبناء والخياطة والتجارة والحياكة, وإما الشريفة بالموضوع كالتوليد والكتابة والوراقة والغناء والطب ومما سوى ذلك من الصنائع والحرف متابعة وممتهنة في الغالب وهي لا توجد غالب إلا في أهل الحضر الذي هو متأخر عن البدو [4].

ويقال هي كل عمل يمارسه شخص ويمهر فيه حتي يصبح حرفة والصانع هو من يعمل بيده كمن يتعلم عندهم صناعتهم وكان يقصد بها الخادم والصناعة حرفة الرجل وعمله، والصناع هم اللذين يعملون بأيديهم [5].

والصناعة ملكة نفسانية يصدر عنها الأفعال الاختيارية من غير روية وقيل هي العلم المتعلق بكيفية العمل وقيل عن الصناعة أنها اخص من الحرفة لأنها تحتاج في حصولها إلى المزاولة [6]، المزاولة [6]، وقد عبر إخوان الصفا على إتقان العمل أنه الشبه بالصانع الحكيم الذي هو الباري جل ثناؤه ومن الباحثين من يرجع سبب قلة التأليف في الصناعة إلى الحفاظ على سر الصنعة فلا يودع عند أحد ولا يباع به إلا في الظروف وأحوال خاصة [7].

---

[1]. ابن خلدون:العبر ،المصدر السابق ، ص202.

[2].شاقسعاد:شريط حنان : الحرف في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل الماستر، تيارت2014، ص23.

[3]. المرجع نفسه،ص23.

[4].محمد سعيد القاسمي وآخرون: قاموس الصناعات الشامية،تح طاهر قاسمي، طلاسدرا، دمشق، ط1، 1988،ص28-29.

[5]. جديد عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 143.

[6]. نفسه،ص 143.

[7].جديد عبد الرحيم ، المرجع السابق،ص143.

ومن خلال ماسبق يظهر لنا التقارب بين الصنعة والحرفة حتى من بين الباحثين من يقول إن كلا اللفظين (الحرفة والصنعة)يدلان على معني واحد.

الفصل الأول

واقع النشاط الصناعي في المغرب الأوسط(2-9ه-)

المبحث الأول: أنواع النشاط الصناعي

المطلب الأول: صناعة التعدين

1) الدولة الرستمية: (160-296هـ/777-909م)

هي من بين الصناعات التي أخذت اهتماما خاصا من قبل السلطة لارتباطها بالحياة المدنية والحياة العسكرية من جهة أخرى, ويعود السبب في وفرة المواد الأولية في محيط الدولة وقربها من مناجم الذهب والزنك والحديد بشكل خاص [1].

ان الدولة الرستمية كانت تفتقر في هذا المجال في المعادن إلا ان هذا لا يمنع من استيراد الدولة لبعض المواد المعدنية الأولية كالذهب والفضة التي استعملت كعملة للتعامل النقدي وحليا للزينة[2]، وعرفت هذه الصناعة نوعا من التقدم وذلك باستعمال تقنيات لمعالجة المعادن من خلال استعمال زئبق الأندلس[3].

كما تعددت المناجم التي أمدت الصناع بحاجاتهم ولوازم صناعتهم ففي جبل أرزوا توفر معدن الحديد والزئبق وخشب العطور، كما يوفر معدن الحديد أيضا بالقرب من وهران، ومما يدل على ازدهار العاصمة بتيهرت في عصر بني رستم مدى استخدام هذه المعادن في حركة البناء والتعمير[4].

وكان هناك حدادين يعملون على صناعة مختلف الأسلحة البسيطة كالسهام والسيوف والخنازير والدروع وغيرها من الأدوات المستعملة[5].

---

[1]. محمد عيسي الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني, دار القلم للنشر والتوزيع,ط2, الكويت, 1987, ص286.

[2]. فيلالي عبد العزيز: العلاقات السياسية الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1982م ص493.

[3].إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية ، دراسة في الاوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، ط2 ، جمعية التراث، الجزائر، 1993،ص470.

[4].عيسى الحريري، المرجع السابق 232.

[5].إبراهيم بحاز، المرجع السابق ص470.

فالصناعة المعدنية بحاجة الى المواد الخام والخشب وبلاد المغرب الأوسط تحتوي على هاتين المادتين وهذا سهل على قيام هذه الصناعة ففي جبل ارزو توفر معدن الحديد والزئبق وخشب العطور [1].

كما توفر معدن الحديد بالقرب من وهران [2]ونجد عبد الرحمان بن رستم رغم بساطة عيشه لم يخل بيته من السيف والرمح [3] بحيث كان الرستميين يتقنون صناعة السيوف فذكر الشاعر بكر بن حماد عن ذلك فقال:

سائل زواغة من طغيان سيوفه ---- ورماحه في العارض المنهلل

غشى ماغيل بالسيوف مذلة -------وسقى جراوة من نقيع الحنطل[4]

بالإضافة الى وجود حدادين يعتمدون على مادة الحديد في صناعتهم وكان معظمهم يصنعون مختلف الاسلحة البسيطة كالسهام والسيوف والخناجر والدروع[5]، ويذكر ابن الصغير ان افلح بن بن عبد الوهاب قد اتخذ باب من الجديد وابتني القصور [6] اما عن الصناعة الذهبية فلقد كان الحصول عليها أمرا سهلا حيث كانت القوائل المتجهة الي بلاد السودان الغربي كفيلة بجلبه وكان للذهب استعمالات متعددة، وقد صنعت منه الكلى وبعض الأواني مثل: الأباريق والاقداح وغيرها وكانت الصناعة الذهبية مقتصدة على الأثرياء فقط، ويرتبط بالصناعتين في بلاد المغرب بسبب حياة الرفاهية فكانت القصور ودور اثرياء ونساؤهم بحاجة الى الصناعة لتامين الأواني والحلى[7].

---

[1].محمد عيسي الحريري، المرجع السابق ، ص232.

[2].نفسه،ص 232.

[3]. ابن الصغير: اخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق محمد ناصر ، ابراهيم بحاز ، دط، دت ، الجزائر ،1985م ، ص29.

[4]. ابن عذارى المراكشي :البيان المغرب في اخبار المغرب ، مطبعة ليدن ، (د ،ط) ،(د ،ن)، ص200.

[5]. ابر اهيم بحاز، المرجع السابق،ص178.

[6]. ابن الصغير، المصدر السابق، ص52.

[7]. جودة عبد الكريم يوسف : الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين (3.4هـ/9.10م)، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، (د ت) ،ص 103.

وقد استوردت الدولة الرستمية المادة الأولية من ذهب وفضة وغيرها وضربتهما دراهم ودنانير للتعاملات التجارية وحليا للزينة، وخاصة ان تقنيات معالجة المعدن وعرفت تقدما وتطورا في هذه الفترة وذلك باستعمال زئبق الأندلس[1] ونجد ان أهل الذمة قد احترفوا بعض الصناعات مثل: صناعة الذهب بحيث أقام اليهود الأسواق للمصنوعات الذهبية واحترفوا كذلك صناعة الفضة في بلاد المغرب [2].

2) الدولة الحمادية:(405-547هـ/1014-1153م)

مثلت الصناعة في الدولة الحمادية أحد الأنشطة الاقتصادية الهامة التي تنفع الشباب إذ أمدته بكل الاحتياجات واللوازم، مما ساعد على ازدهار الصناعة توفر المغرب الأوسط على مناجم معدنية[3].

فنجد الحديد بمجانة وبونةوبجاية، والفضة والرصاص والأثمد بمجانة والنحاس واللازورد فقد اشتهرت بهما جيجل والجص بمتوسة على حوالي 12 من بجاية [4].

وبجانب هذه المعادن نذكر الملح فقال البكري وهو يحدثنا عنه أنه كان يوجد قرب بسكرة "جبل ملح يقطع فيه الملح كالصخر الجليل ومنه كان عبيد الله الشيعي وبنوه يستعملون في أطعمتهم[5] أطعمتهم[5]

كذلك تحتوي هذه الأقاليم على مادة الزفت البالغ الجودة والقطران [1]، كل هذه الثروات المعدنية تحتاج الى العمل عليها وتحويلها من مادة خام والى ما يمكن الانتفاع به فيتطلب ذلك وفرة اليد

---

[1] ابراهيم بحاز، المرجع السابق،ص170.

[2] عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي (22-462هـ/642-1070م) ،عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الهرم ط1،93ً،2001-ص94.

[3]. صالح يوسف بن قربة : تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الاسلامي،,ط1 2009, التصفيح والإخراج, فضيلة بن سادة الانجاز الفني, رابح خدوسي الابداع القانوني, 2009/763,ص251.

[4].رشيد بوروبية : الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها, ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر,1977-1397,ص136.

[5]. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص136.

العاملة المؤهلة والنشيطة وهذا ما أكده الإدريسي في قوله: {وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد [2].

3) في الدولة الزيانية (633-962هـ/1235-1554م)

مثلت بعض الحرف والصنائع في المجتمع الزياني في القاعدة الإنتاجية للمدينة، بما كان يقدمه الحرفيون من دور بارز في تنشيط الحياة الاقتصادية، وذلك باستغلال وتحويل المواد الأولية الفلاحية كانت أو معدنية إلى بضائع استهلاكية ومن بين أهم هذه الصنائع صناعة التعدي: هي من بين الصناعات التي أخذت اهتماما خاصا من قبل السلطة الزيانية لارتباطها بالحياة المدنية من جهة والحياة العسكرية من جهة أخرى، ويعود السبب في تطورها إلى وفرة الموارد الأولية في محيط الدولة وقربها من مناجم الذهب والزنك والحديد بشكل خاص [3].

شملت هذه الصناعة الأسلحة التقليدية كالسيوف، والرماح، والدرق، والمجانيق، والآلات المختلفة التي تستخدم في عمليات الحصار [4]، كما استخدمت في مواضيع مختلفة كالمصاريع للأبواب ومقابض ومطارق لها إلى جانب بعض الأدوات البسيطة كالفؤوس والمحاريث والشبابيك وغيرهاوارتبطت كذلك بصك العملة وصناعة النقود من دنانير ودراهم، وبلغ عددها اثنان وثلاثون دينار ذهبيا في غاية الجودة والإتقان، بما تحمله من أشكال هندسية، وأقوال مأثورة لأسماء الملوك والسلاطين، وآيات من القرآن الكريم، ومعلومات أخرى تفيد أنها ضربت بمدينة تلمسان، مما يؤكد وجود دار للسكة.

---

[1]. الحميري عبد المنعم(ت 727هـ/1327م): الروض المعطار في خبر الاقطار, تح ،إحسان عباس, مكتبة لبنان,بيروت, ط1, 1975 ،ص81.

[2]. الشرف الإدريسي(ت 560هـ/1165م) : صفة المغرب وأرض السودان ومحمد والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق,ص260.

[3]. فرحات محمد إبراهيم بحاز: الأنشطة الإقتصادية في مدينة تلمسان خلال العهد الزياني(من بين القرنين 7-9هـ-13-15م) مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284-2014 جامعة بنغازي،ص9.

[4]. نفسه، ص9.

المطلب الثاني: صناعة النسيج

1. الدولة الرستمية:

تعتبر صناعة النسيج الصناعة الرئيسية في العصور الوسطى بسبب حاجة الناس على اختلاف طبقاتهم وفئاتهم وربما كان لكل جهة إنتاجها الخاص إلا ان الاحتكاك الواسع بين الشعوب في ظل الإسلام، قد مزج بين الأنماط والأزياء، فأنتج زيا يمكن اعتباره الزى الإسلامي وتأثر النسيج المغربي بالفارسي والأندلسي إلي غير ذلك حتى أصبح نسيج مختلف مناطق البحر الأبيض المتوسط متشابها بها فكان من نفس المادة الأولية ومزينا بصور أو كتابات عربية وذا ألوان متشابهة وتحمل نفس الزركشة[1].

فتعد صناعة النسيج من أهم مقومات النشاط الصناعي في المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة لما تمتعت به المنطقة من خصومة التربة وتوفر الموارد المائية وفضلا عن تنوع المناخ مما أدى إلى توفر المادة الخام وتنوعها وهو ما انعكس لمزاولة العمل الزراعي وزراعة المحاصيل النسيجية كالقطن والصوف والكتان والقنب وغيرها [2] فاشتهرتتهرت بصناعة المنسوجات على اختلاف أنواعها الصوفية والكتانية والحريرية لتوفر تامات الصوف والكتان من المراعي والمزارع[3].

وقد كانت الفسطاط من أشهر المدن في صناعة الحلي والجواهر إضافة إلى مدن أخرى كالإسكندرية والفيوم والبهنسة وأسيوط وإخميم وقوص بالصعيد وكذلك تنس ودمياط وغيرها[4].

---

[1]. جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ،ص89.

[2]. محمود هدية : اقتصاد النسيج في الغرب الاسلامي في العصر الوسيط ، (د ، ط) جنداوي، المملكة المتحدة،(د، ت)، ص20.

[3]. الحريري عيسى : الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي: حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والاندلس(160هـ-296هـ) كلية الأدب، جامعة المنصورية، ط3، دار القلم للنشر والتوزيع ، ص32.

[4]. السيد طه السيد أبو سيدرة ، المرجع السابق، ص176-177.

ومن أسماء الصاغة التي كانت موجودة في العصر الفاطمي وما أوضحتها شواهد القبور منها شاهد يحمل إسم محمد بن على سراب بن أحمد بن داود بن سليمان الصائغ (بتاريخ 5 جمادى 384هـ بالصعيد) وشاهد ثاني باسم إبراهيم بن حسين بن سليمان بن داود بن سليمان الصائغ (بتاريخ 22 ذي القعدة 389هـ)[1].

وكانت هذه الصناعة تنتج انواعا مختلفة من الملابس مما لاشك فيه ان الصناعة كانت منتشرة في جميع الدولة الرستمية عند البدو والحضر وكانت المرأة خاصة هي التي تقوم بها في منزلها أو خيمتها وتوظف الجواري مثلما فعلت أم الخطاب التي كان لها ثلاث عشر جارية تنسج لها، وقد كانت المرأة في الدولة الرستمية تهتم بصناعة الصوف، وقد برع منذ القديم في صناعة النسيج التي كانت اساس لباسهم واغطيتهم وخيامهم [2].

وذكر ابن الصغير ان الإمام عبد الرحمان بن رستم كان يشتري من مال الصدقة أكسية ثم أمر بجمع ما بقي من مال الصدقة فاشترى من أكسية صوفا وجبابا صوفا[3].

كما تميزت المستويات الرستمية باختلاف أنواعها فلم يكن بلون واحد وإنما كانت مختلفة الألوان والأشكال وقد كان اليهود من يتولون صناعة الأصباغ وكانت هذه الحرفة قديمة عندهم وتم الإشارة إلى اختصاص اليهود بصناعة الأصباغ في جبل نفوسة[4].

كما نجد أن المادة الهامة والرئيسية في المغرب الأوسط وهي الصوف نتيجة الإنتاج الحيواني ومنها يذكر ابن خلدون ويشد شهرة تلمسان في مجال صناعة الصوف فيذكر تخصص أهلها أن غالب تكسبهم بالفلاحة وحوك الصوف يتعاونون في جمل أنوابه الرقاق فتلقى الكساء والبرنوس عندهم في تمان أواق والاحرام في خمس[5].

---

[1].نفسه، ص177.

[2]. إبراهيم بحار، المرجع نفسه,ص168.

[3]. رشيد بوروبية، المرجع السابق, ص137

[4]نفسه ، ص138

[5]. . ابن خلدون، المصدر السابق ،ص22.

وفي هذه الشهرة أشار الحموي في معجمه بخصوص تلمسان " تتخذ النساء بها من الصواف انواعها من الكتاتين لا توجد غيرها [1]، وكان يصنع منه الفراش والمبطنات ووسائد الصوف [2]، ومن هنا تبين دور المرأة الفعال والمهم في صناعة الصوف.

إضافة إلى الكتاب الذي انتشرت زراعته في المغرب الأوسط [3]، فقد ذكر ابن حوقل أن مدينة بونه« يزرع بها الكتاب » وكذا طينة ومتيجة، وعن المسيلة يذكر الإدريسي (أن أهلها يزرعون الكتاب وهو عندهم كثير)[4].

2. الدولة الحمادية:

ذكر صاحب "كتاب الاستبصار" أن أهل بجاية كانوا متخصصين في صناعة العمائم، فقال" كانت الملوك صنهاجة عمائم مذهبة تساوي العمامة الخمسمائة دينار والستمائة دينار وكانوا يعممونها باتقن صنعة فتأتي كأنها تيجان، ببلادهم صناع لذلك فاخذ الصانع على تعميم عمامة منها دينارين وأن يبدوا كانت لهم قوالب من عود في حوانيتهم يسمونها الرؤوس تعمم عليها تلك العمائم[5]، وبدون شك كانت العمائم الحمادية تشابه عمائم الفاطميين التي وصفها المقريزي وبجانب العمائم هناك ملابس غريبة أخرى كانت تصنع ببجاية ذكرها البيذق وهو يحدثنا عن إقامة ابن تومرت بالعاصمة الحمادية.

فقال ان المهدي " كان ينهي الناس عن الاقراق الزرارية ولباس الفتوحيات للرجال ويقول: لا تتزينوا بزي النساء لأنه حرام[6] ومنها ايضا شواشي الخز التي تحدث عنها ابن القطان فقال "ان

[1].ياقوت الحموي شهاب الدين عبد الله : بلدان معجم البلدان ، دار صادر بيروت ، لبنان ، 1977،ج2، ص402.

[2].جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص93.

[3]. هدية محمود، المرجع السابق ، ص35.

[4]. الإدريسي، المصدر السابق،ص69

[5]. رشيد بوروبية، المرجع السابق, ص137.

[6]. نفسه ،ص137.

ابن تومرت عند وصوله الي بجاية لقي الصبيان في زي النساء بالظفائر والاضراس والزي نة وشواشي الخز"

وهذا فيما يخص صناعة النسيج ببجاية فلنتحدث الان عن صناعة النسيج بقلعة بني حماد، فقال صاحب الكتاب الاستبصار"، ان العاصمة الحمادية الأولى كانت مشهورة بأكسيتها التي كانت ليس لها مثيل في الجودة والرقة لا الوجديةالتي تصنع بجودة تساوي كسا من عمل القلعة ثلاثين دينارا واخيرا ياقوت من جهته بان القلعة كانت مشهورة بالالباد والملابس الجميلة والاقمشة المزركشة[1].

3. في الدولة الزيانية

تعتمد هذه الصناعة على موارد مختلفة كالصوف، والقطن والكتان والحرير والجلود المدبوغة على اعتبارها مادة اولية متوفرة بشكل كبير في اراضي الدولة الزيانية، وتشمل بوجه خاص: حياكة الملابس والزرابي والحنابل، وصناعة الخيم والأحذية والسروج والعمائم والاحزمة وغيرها [2]، وقد أثنى يحيى بن خلدون على هذه الصناعة بتلمسان بقوله: < غالب تكاسيهم الفلاحة وحةك الصوف، ويتعاونون في عما أثوابه الرقاق، فتلقى الكساء، والبرنوس عندهم من ثماني أواقي، والأحرام الخمس، وبذلك عرفو في القديم والحادث ومن لدنهم يجلب إلى الامصارى شرقا وغربا >[3]، ونوا الزهري بمكانة تلمسان في صناعة المنسوجات الصوفية بقوله: < وهي دار مملكة يعمل فيها من الصوف كل شئ بديع من المحررات والأبدان واحاريم الصوف والسفاسيروالحنابيلالمكلكلة وغير ذلك وهذا من بديع أخص به أهلها من جميل صنعهم ...ومنها يجلب لقيط الصوف والأسيلة لسروج الخيل إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس >[4].

---

[1]. رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص138.

[2]. فرحات محمد ابراهيم بجار : الانشطة الاقتصادية في مدينة تلمسان خلال العهد الزياني ما بين القرنين (7-9هـ/13-15م)، مجلة العلوم والدراسات رقم الايداع بدار الكتب الوطنية ، جامعة بنغازي ، 2014 ص7.

[3]. نفسه،ص7

[4]. نفسه،ص8.

فقد كان أبو زيد عبد الرحمن بن النجار من كبار أرباب الحرف بتلمسان يزاول حكاية الصوف الرفيع في درب شاكر، وكان اغلب هذا الدرب له ولخدامه يقصده كبار التجار من المشرق والمغرب للاقتناء منها، وكان يجني من بيعه لهذا الصوف ألف دينار في اليوم الواحد[1].

وانفرج جورج مارسي بوصف دقيق لخياطة وتطريز السروج بقوله :<إلا أن الفرسان محتفظين بتذوق السروج الفاخرة قد يجدون بتلمسان طرازين أكفاء يقومون ببسط مشبك الزخرف المزدوج في شكل أغصان ملتفة بالسلك الذهبي أو الفضي على جلد قطيفة السروج والعمائم والأحزمة>[2] وتشير كتب التراجم الى وجود ورشات حرافية يديرها أرباب الحرف بمساعدة مجموعة من الصبيان، يخضع من خلالها الصبي لفترة معينة حتى يتعلم الصنعة على ان تقدم له أجرة لا تزيد عن نصف دينار كل شهر[3].

فصناعة النسيج لم تكن مقتصرة على المدن بل شملت البوادي ايضا لان القبائل العربية البربرية كانت تعتمد الى الرحلة الموسمية وانا مساكنها عبارة عن خيم مصنوعة من الوبر والصوف تقوم بنسجها المرأة لذلك نجد صناعة المنسوجات المنزلية أكثر انتشار فكل عائلة تهتم بهذا النوع من الصناعة حيث تقوم الأسرة بنسج ماتحتاج إليه من الملابس لان المادة الأولية متوفرة في اغلب المناطق الزيانية[4]، ويلاحظ ان أهمية صناعة الحنابل شجعت عددا من السكان الى المشاركة في هذا النوع من الصناعة استمرت اليم ابعد الدولة الزيانية فكانت حنابلالونشاريسي وزرابي قلعة بني راشد وحنابل المدية والحياك في لمدية وتلمسان وكذلك محازم تلمسان من بين السلع التي كثر الإقبال عليها خلال عهد الدولة الجزائرية الحديثة[5]وكذلك حياك الدولة الزيانية وبرانسها وزرابيها تباع لتجار الدول الأوروبية والإسلامية مما جعل الفقهاء

---

[1].نفسه، ص8.

[2]. فرحات محمد ابراهيم: المرجع السابق ص8.

[3]. نفسه،ص8.

[4].مختار حساني : تاريخ الدولة الزيانية ،الاحوال الاقتصادية والثقافية ، ج2،الطبعة 2009، ص92.

[5]. نفسه ،ص92.

يقومون هما الآخرون بها فقد أورد أبو الفضل العقباني ان فقيها مات وترك زوجات واولاد صغار وكبار، فسافر بعضهم لبلد فاجتمع هناك ببعض الفقهاء وقالوا لهم ان الفقيه المذكور كان يبعث لنا الحنابل ليبيعها ونأخذ بيها سلعة وألان مات وانت من خواصه فاحمل هذه السلعة لبلدكم حيث ورثناها ولم تكن صناعة المنسوجات مقتصرة على الحنابل بل نجد الزرابي كما سبق ذكره لكنها الان لم يجد من يقوم بإحيائها او العناية بها على الرغم من وجود مساعدة من قبل الدولة ولعل ذلك راجع إلي ارتفاع أسعارها وقلة التجار بها[1].

المطلب الثالث: صناعة الخشبية

1. الدولة الرستمية

ان هذه الصناعة ضرورية في الحياة اليومية ومادتها الخشب فصاحبها يحتاج الى الخشب والقائم بهذه الحرفة النجار[2]، بحيث نجد ان الدولة الرستمية قد تميزت بثروتها الغابية حيث ينبت في وسط غابة كثيفة الأشجار وتوفر مادة الخشب أدي الى وجود صناعات خشبية [3]، وقد ذكر ابن عذاري أن تيهرت " حولها بساتين من أنواع الثمار كثيرة الأشجار[4].

وقد كان النجارون يصنعون مختلف الآلات والألوان المستعملة مثل الصناديق الخشبية والأسرة والخزائن البسيطة والأبواب وغيرها [5]، وكان من مصنوعاتهم الخشبية الموائد حيث ظهرت في بيت الإمام عبد الرحمن بن رستم والأسرة والكراسي ، وعرفت الصناعة الخشبية عددا من الصناع فكان منهم النشار-" الخشاب" و "النجار" وكانوا يستفيدون من النجارة في استعمالها لتجفيف صفحات الكتابة فقد تم العثور على صفحات مخطوطا تعربيه أندلسية وكانت

[1]. مختار حساني ، المرجع السابق، ص93.

[2].ابن خلدون، المقدمة المصدر السابق، ص107.

[3].إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص164.

[4]. ابن عذارى، المرجع السابق،ص 138.

[5].ابراهيم بحاز، المرجع السابق،ص 169.

ليقطعالخشبية تسمد بالمسامير أو تدخل نهايتها في بعضها البعض وعرفت الصناعة الخشبية ازدهارا في بلاد المغرب الأوسط وذلك لوفرة مادة الخشب فيها[1].

كما يوجد صناعة السفن أو بالأحرى بعض القوارب الصغيرة الضرورية للملاحة البحرية والنهرية ففي الخشب من جهة إضافية الى وفرة اليد العاملة أي الصناع الاندلسين الذين تواجدوا في مدافئ المغرب الأوسط باستمرار بل كانوا مؤسسيها فعلا، وهذا يدعوا الى الاعتقاد أن مرفأ كل من "تنس" و"وهران" خاصة لأهميتها وقد كان بهما ترسانة لصناعة القوارب، كما كانت صناعة القوارب موجودة في جزيرة جدية لكونها جديدة [2]، في البحر المتوسط منقطعة بأميال من ساحل مدينة فاس فسكانها يحتاجون الى التنقل لقضاء حاجاتهم [3].

وكان الكتان عديد الاستعمالات فكان يستعمل في صنع الثياب والأحذية وغيرها وكان يلبس منه العامة والخاصة[4]، كما استعمل ايضا في العلاج خاصة القروح [5].

ويذكر القلقشندى ان بونه مدينة جليلة عامرة خصبة الزرع ويزرع بها الكتان الكثير [6]، ومدينة مقرة*وكانت هي الاخري تحتوي على زراعات مختلفة وأشهرها يزرعون الكتان وهو عندهم كثير [7]وكانت قزونة* في متيجة أكثر تلك النواحي كتانا ومنها يحمل وكان هذا الأخير يستعمل في

---

[1].جودت عبد الكريم: المرجع السابق،ص117.

[2]. ابراهيم بهاز: المرجع السابقص169-170.

[3]. المرجع نفسه،ص 169-170.

[4]. القاضي النعمان :إفتتاح الدعوة، تح فرحات الدشرواي،ط2، الشركة التونسية لنشر والتوزيع، تونس، 1988، ص100

[5]. ابن الحوقل: المصدر السابق ص85.

[6]. القلقشندي: الشيخ ابن العباس أحمد ،صبح الأعشى ج5، الأميرية، القاهرة 1915، ص106

*مقرة: مدينة بالمغرب قريبة من قلعة بني حماد وبينها وبين طبنة ثمانية فراسخ، ينسب اليها عبد الله محمد بن حسن بن المقري، ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ص175.

[7].الإدريسي الشرف: المصدر السابق، ص93.

*قزونة: هي مدينة علي نهر كبير عليه ارحاء وبساتين ويقال انها متيجة وهي أثر البلاد كتانا، ينظر الياقوت الحموي المصدر السابق، ص53.

صناعة الملابس والعلاج وخاصة القروح [1] وقد اشتهرت تيهرت بصناعة الخز وهو نسيج من الصوف والحرير ، ويبدوا ان النسيج كان قيما حيث اشتهر بهذه الصناعة والد احمد فتح المعروف بابن الخزار التيهرتي فيتضح من لقبه ان والده كان مختصا بصناعة الخز او المتاجرة به بالإضافة الي صناعة الخيام وهي صناعة متوارثة وكانت الخيمة من الصوف تدعى الخباء والمصنوعة من الشعر تدعى الفيصطاط والمصنوعة من الوبر تدعي البيجاد والمصنوعة من القطن تدي السرادق وهناك خيام تدعي الطراف مصنوعة من الجلد الخاص [2] وبذلك عمى الرخاء وبنيت القصور في الدولة الرستمية واستعملوا ثواب علي القصور فيذكر ابن الصغير: "ما رأيت شرفة من القصر بني إلا عليها ثوب أحمر وأصفر علي الجدار كالبدور[3].

أما بالنسبة للقطن فقد عرف تيهرت متخصصين في هذا النسيج وكان منهم أبو الفضل أحمد بن القاسم بن عبد الرحمان بن عبد الله التميمي البزار التيهرتي وهذه الشخصية تكشف لنا عن وجود الصناعة القطنية في تيهرت وان العاملين في هذه الصنعة قد أنتجوا انواع الملايين القطنية من جباب وقمصان وسراويل وغيرها وقد نتج عن توفر المادة الخام للنسيج ومواد الصباغة تقد كبير في صناعة المنسوجات فتفننوا في صناعتها وترويقها بالرسوم والخطوط والالوان المختلفة كغيرهم من صناع البلاد الإسلامية[4].

2. في الدولة الحمادية:

امتهن أهل بجاية صناعة الخشب فقد كان في اوديتها بكثرة ويجلب من أقاليمها والمتمثل بكل أنواع الأشجار الغابية مثل شجرة الفلين والصنوبر وغيره الذي استخدمه البجائيون في صناعة الأبواب والصحون والملاعق وغيرها من الأدوات المنزلية[5].

---

[1]. عبد الكريم جودت: المرجع السابق ،ص55.

[2].جودت عبد الكريم : المرجع السابق ص 93.

[3]. ابن الصغير: المصدر السابق، ص51

[4].نفسه، ص94-95.

[5].جودت عبد الكريم يوسف ،المرجع السابق ،ص20

نضيف الى ذلك فقد زودت هذه الجبال البجائيين بالأحجار التي كان يتم قطعها وسقيها واستخدامها كمطاحن للقمح والشعير فقد عرفت بجاية على وجه الخصوص بهذه الحرفة والتي كانت تصدر منها الى باقي بلاد المغرب الإسلامي[1] .

3. الدولة الزيانية

ارتبطت حرفة الفخار بوجود عدد من الافراد المتخصصة في صناعة الفخار والخزف والقرميد، بمدينة تلمسان وضواحيها خاصة بالقرب من باب العقبة، ويشير جورج مارسي إلى تراجع هذه الحرفة عما كانت عليه من تطور وازدهارمنذ زمن طويل مقارنة بحرفة اخرى كالنسيج، ومن المؤكد أن هذه الصناعة قد تأثرت بشكل كبير من خلال فئة الأندلسين الذين ادخلوا معهم إلى بلاد المغرب الأوسط صناعات جديدة كصناعة الزليج ذو الألوان المختلفة [2].

كما ان عمارة المساجد وبناء القصور والبيوت في هذا العصر تركت اثارا كبرى في تطوير الصناعات الخشبية، بما احتاجته من أسقف ونوافذ وابواب ومنابر مقصورات واثاث وتحف زخرفية، وكانت السقوف الخشبية تغشى بالقصدير والاصباغ الملونة والابواب تغشى كلها بالنحاس الاصفر، وكانت المنابر والمقصورات تزخرف بأشكال هندسية ونباتية، وتطعم حشوات المنابر بالعاج والانبوس والصندل والعناب واصناف الخشب العظيم [3] وقد برز كذلك في القرن(9هـ/15م)النحت على الخشب بالنسبة الى الاثاث والخزائن والصناديق وابواب المساجد، ومن بين الاثار الدالة على هذه المرحلة الثرية مسجد تلمسان التى تعود إلى عهد يغمراسن بن زيان، هذا إلى جانب النحت على الجبس والزخرفة والفيسفساء الفنية التى وجدت على السطوح الحجارات المبلطة بالزليج الملون، وهو ماذهب إليه الحسن الوازن في وصفه لمدينة هانينالتى لا

[1].عمار عمورة ،المرجع السابق ،ص62

[2]. فرحات محمد ابراهيم : مرجع سابق ص8.

[3]. نفسه،ص8.

يفصلها عن تلمسان الا 14 ميلا لقوله :< ودورهم في غاية الجمال والزخرفة ... ارضها مبلطة بالزليج الملون، وسفوح الحجرات مزينة بنفس الزليج والجدران مكسوة كلها بالفسيفساء الفنية >"[1]"

وتعد المدرسة التاشفنية اية في الزخرفة والجمال، اذ يصفها جورج مارسي بقوله :" ولعب التلبيس الخزفي في الزخرفة دورا هاما ... فجهزت بالخزف محيطات الأبواب ورصف القاعات وتقدمت المصلى فيسيفساء من المرمر تأطرت بزخرفة ضفيرية نباتية رقيقلة" [2]

فتميزت الدولة الزيانية بوجود ثروة غابية سهلت عملية تطور الصناعة الأخشاب المتمثلة في الأسرة والخزائن والصناديق والأبواب والنوافذ إلاأنها كانت متأثرة بالصناعة الأندلسية والدليل على ذلك ما يلاحظ على إحدىأبواب المدرسة التشافنية في متحف تلمسان التي تعود إلي القرن الثامن الهجري الرابع عاشر الميلادي.

ومن بين الاثار الدالة على هذه المرحلة ثرية مسجد تلمسان التى ترجع الى عهد يغمراس بن زيان.

ومن بين التحف التى اشارت اليها كتب النوازل الفقهية الصناديق الخشبية المطلية بالذهب والفضة لدى السلاطين بني زيان والطبقة الغنية من كبار التجار والموظفين[3].

المطلب الرابع: الصناعة الغذائية

1. الدولة الرستمية:

أساس هذه الصناعة هو الإنتاج النباتي والحيواني، فالقمح والشعير أساس غذاء السكانوتقوم عليها بعض الصناعات مثل " الطحنة "و "الخبز"، وقد كانت الارحية والأفران منتشرة في كل مكان، ويذكر ابن الصغير: " وإحياء الاموات وغرس البساتين واجراء الانهار واتخاذ الارحاء"،

[1]. نفسه،ص8.

[2].نفسه،ص9

[3]. مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية الاحوال الاقتصادية والثقافية ج2، ط2009، ص98.

ويذكر البكري أن تيهرت لديها باب يعرف بباب المطاحن "مدينة تيهرت لها ثلاث أبواب باب الصبا وباب المنازل وباب المطاحن ".

ولقد ظهرت فئة الطباخين نتيجة التطور العمراني والتجاري في بلاد المغرب الأوسط مهمتها تقديم خدمات للغرباء في الاسواق والفنادق وحتى الموظفين كانو ا يأخذون طعامهم من عند الطباخ ".

بالإضافة الى وجود صناعة زراعية تتمثل في معاصر الزيتون نتيجة لتوفر المغرب الأوسط على هذه الشجرة فمن المحتمل جدا وجود هذه الصناعة في تيهرت ويبدوا ان المشتغلين في هذه المعاصر كانوا معظمهم من العبيد المجلوبين من السودان وكذلك كانوا يشتغلون في مطاحن القمح الموزعة على انهار الدولة الرستمية.

ونجد كذلك من بين الصناعات الغذائية صناعة الخبز فكان الحصول عليه بطريقتين الأولى في المنزل والثانية في الفرن، وكانت المرأة هي التي تتولى صناعة الخبز والفئة التي يمكننا إدراجها مع الصناع هي التي تهم الرجال الذين يحضرون الخبز وكان شراء الخبز من الاسواق يغلب على اهل المدينة [1]، حيث يقوم غذاء الشعوب المستقرة على ضفاف البحر المتوسط على النباتات الرئيسية هي الحبوب والزيتون الذي يشكل زيتة المادة الدسمة الاساسية والخضروات والفواكه[2].

بما أن الطعام مختلف من منطقة إلى أخرى فان اهل ت يهرت كانوا يصنعون خبزهم من القمح لما توفره اراضيهم من حنطة وقمح، وذلك لأن زراعة القمح كانت واسعة في تيهرت وكانت للحنطة استعمالات متعددة مثل تحضير الخبز وبعض انواع الطعام والحلويات وقد ساعدت

[1]. جودة عبد الكريم، ص109

[2].لومبارس موريس: السلام في مجده الاول من القرن الثاني الى القرن الخامس هجري ترجمة اسماعيل العربي ط3، دار الافاق الجديدة المغرب 1990،ص238.

قابليتها للتخزين على أداء هذا الغرض [1]، والحنطة أوفق حبة عمل منها الخبز وأشدها ملائمة لدى الإنسان المعتدل"[2]"، فكان سكان المغرب الأوسط كغيرهم من سكان بلاد المغرب يعرفون أكل القمح فريكا[3].

يبدو أن الدولة في عهدها الأول كانت بسيطة في اعداد الطعام، فلقد ذكر عن عبد الرحمن بن رستم أنه كان طعامه الخبز والسمن والملح وكان يفتت الخبز ويعصر عليه عسله[4]

ومن الأكيد أنه تغيرت أصناف الأطعمة فيما بعد في حياة البذج والترق التي شهدتها الأئمة اللاحقين، ويبدوا ان الطعام الذي قدمه المعتزلة الى أيوب بن عباس كان ثريدا فذكر الدرجيني أن هؤلاء قدموا له جفنه طعام عليها شاة ووطب من لبن [5]، أما جبل نفوسة بصناعة خبز الشعير الذي مدحه ابن حوقل في قوله < أكثر زروعهم شعير وإياه تأكلون وإذا خبز كان أطيب من خبز الحنطة ولشعيرهم لذة ليس الخبز من أخبار الأرض، لأنه ينفرد بلذة ليست في الخبز[6]، وايضا كانوا يصنعون خبز القمح فذكر الشماخي في أن أيامهم أنه اهدى الى أبي عثمان قلة سمن فأطعمها له في خبز القمح [7]، كما ذكر البغطوري في وراثة عن أبي مرداس أنه أطعم الخدم الذين رجعوا من الحطب وكان يعطي لكل واحد منهم قبضة من إناء صميث، وهي أكلة شعبية في ليبيا عبارة عن حبوب شعير تغلي على الرمال، ثم ينزع قشرها وتطحن مع

---

[1]. عبد الكريم جودت،ص40

[2]. ابن البيطار ضياء الدين : الجامع لمفردات الاغذية والادوية ، د،ط ، دار الكتاب العلمية ، بيروت –لبنان، ج2، ص298.

[3]. عبد الكريم جودت، المرجع السابق،ص41

[4]. ابي زكريا، يحي بن ابي بكر : سير الائمة واخبارهم المعروف بتاريخ ابي زكريا ،تح اسماعيل العربي ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ط2 ،1982،ص54.

[5]. عبد الكريم جودت:المرجع السابق، ص54.

[6]. ابن حوقل، ص92.

[7]. الشماخي احمد بن سعيد: السير، تح: أحمد بن مسعود السياحي ، ط2 ،وزارة التراث القومي وثقافة ،سلطنة عمان، 1990، ج1، ص117.

القليل من الملح وعند الأكل تخلط بقليل من الماء وزيت الزيتون، وإذا نفذ الصميت كان ينفق عليهم الا الحشيش .

2. في الدولة الحمادية:

اشتهر عامة بجاية بصناعة زيت الزيتون البالغ الجودة الذي كان يستخلص منه انواع من الزيوت منها ما يستخدم في الطهي ومنها ما كان يصنع منه الصابون [1] ونمو النشاط الصناعي لدى البجائيين عاد ى الى اكتفاء ذاتي بالمنطقة وبالتالي كان لازما عليهم تصدير منتوجاتهم فحسب الإدريسي فقد صدر البجائيون محاصيل ومواد متنوعة كالقطن والسكر والكتان والشمع والخشب والمعادن والفواكه الجافة كالتين [2]،اما ما كان يستورده البجائيون من مواد بغرض استخدامها في الصناعة نجد انه في منتصف القرن(6هـ/12م) استورد أهل بجاية مادة الصباغ من الدول الأوروبية والهند وأيضا الرقيق أو العبيد واغلب الظن قد تم استخدام هؤلاء في القيام بعدة أعمال في ميدان الصناعة[3] .

[1]. سكاكو حورية: التحولات الاقتصادية في بلاد المغرب بداية من القرن(6هـ حتى أواخر القرن 10هـ/12-16م)، أطروحة دكتوراه ، إشراف الأستاذ بودارية مبخوت جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان سنة 1438-1439هـ/2017-2018م، ص65

[2].الإدريسي ،مج1 ،المصدر السابق ،ص261.

[3]. أمينة بوتشيش،بجاية ،دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع الهجريين ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي في العصر الوسيط،إشراف عبدلي لخضر ،كلية الأدب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة أبي بكر بلقايد ،تلمسان ،1428/1429/2007-2008م،ص54

المبحث الثاني:العوامل المؤثرة النشاط الصناعي

ولقد خضعت الصناعة في البلاد المغرب الأوسط الى عدة عوامل مؤثرة ايجابا وسلبا أهمها :

1/العوامل المؤثرة إيجابا:

1/1اتساع العمران :

لقد أدى اتساع العمران في بلاد المغرب الأوسط الى ظهور مدن جديدة ادا نستطيع القول انا صناعة في المغرب الأوسط خلال القرن(4هـ/10م)كانت ضئيلة رغم ضهور عدة مدن مثل اشيرو المسيلة والقلعة الا ان عمرانها اتسم بالبداوة لكنها ما لبثت ان تطورت بتطور العمران ،غير ان عمران المغرب الأوسط ازداد اتساعا خلال القرن (5هـ / 11م) بدليل ضهور مدن جديدة وتطور مدن أخرى فادا كانت تلمسان <المدينة العظمى> فان تيهرت كانت تقارب دمشق وقرطبة، حيث يدكر ابن خلدون نشأتها <<تمدنت واستعت خطتها>>" وان اتساع العمران هدا يعني ازدياد الطلب على اتساع السلع على اختلافها وهدا ينعكس إيجابا على ازدهار الصناعة خاصة ادا توفرت القوة الشرائية[1]،فنجد ظهور المنشأت العمرانية التي كانت لها دور في تطور الصناعة وبروز الحرف ، ومن بين المنشأت نجد الحصون والقلاع .

ومما لاشك فيه انه كلما ازداد العمران اتساعا ظهرت صناعات أخرى فنجد <<الدهان والصفار والحمامي والطباخ والشماع والهراس...الخ>>،ومنها يربط ابن خلدون اتساع العمران واتساع الصناعة فيدكر انه <ادا عظم عمران المدينة وكثر سكانها كثرت الآلات بكثرت الاعمال حينئذ وكثرت الصناع الى ان تبلغ غاياتها من دلك تراجع عمرانها وحق سكانها قلت الصناع من اجل ذلك"[2]">

1/2 توفر المادة الخام :

نظرا لان بلاد المغرب الأوسط اشتهرت بالإنتاج النباتي والحيواني، فقد قامت صناعة واسعة في هذين المجالين اعتمدت عليها كما

[1].جودت عبد الكريم .المرجع السابق ، ص 84.

[2].ابن خلدون ، المصدر السابق : ص 401.

توفرت فيها بعض المعادن التي سمحت بقيام صناعة معدنية، فقد كان الحديد في مجانة [1] إضافة الى شهرتها بحجر الاثمة[2]،كما كان النحاس وازورت بجبل كتامة ،وكان الجص في ماتوسة -12 ميلا عن بجاية ،وكان الزئب في جبل ارزيو كما الاثمد في عصن تاونت عن ساحل تزنان وكان يجلب الى بجاية من اقاليمها الزفت البالغ الجودة والقطران[3]، هدا بإضافة الى الملح فلقد ذكر البكري ان بالقرب بسكرة جبل يقطع فيه كالصخر الملح ،كما ذكر البكري انه بالقرب بسكرة جبل يقطع منه الملح كالصخر الجليل ، ومنه كان عبد الله المهدي [4]وبنوه يستعملون في اطعمتهم الى جانب ملاحات البحر وكانت القوافل الى بلاد السودان كفيلة بتامين مادة الذهب[5] .

كما وجد الكثير من المعادن كالخشب في مدينة بجاية الذي كان في جبالها واوديتها يستعمل لصناعة السفن، وكذلك معدن الحديد المتواجد بها بكثرة وكذلك معدن الجص[6]،أما مدينة بونة ففيها الكثير من الخشب، إضافة الى معدن الحديد[7]كما وجدت عدت معادن بصحراء مدينة ورقلة [8]منها معدن حجارة يشبه العقيق وقد اختلفت الوان الحجارة فمنها الحمراء والصفراء

---

[1].مجانة تقع بالقرب من جبل ونزة وعلى بعد مرحلة كبيرة من مرمانية، وقد اشتهرت بحجر الطواحن الذي كان يقتطع من الجبال المجاورة ويصدر الى القيروان وسائر بلاد المغرب ، وكذلك سميت مجانة المطاحن او مجانة المعادن بسب معادنها كثيرة كالحديد والفضة والرصاص، الادريسي : المرجع السابق، ص 117،118 ، البكري : المصدر السابق ، ص 145.

[2].الأثمد هو حجر يتخذ منه الكحل وقيل ضرب من الكحل، وقيل نفس الكحل وقيل شبيه به ، ابن منظور ، المصدر السابق ، مج 3،ص 105.

[3]بورويبة رشد، الرجع السابق ، 136.

[4] . هو الله الملقب بالمهدي ، ولد سنة 260هـ 874م بمدينة سلامة ودعي له بالخلافة على منابر رقادة والقيروان (297هـ/ 10م) وكانت وفاته بالمهدية سنة 322هـ934م ، ابن خلدون : المصدر السابق ص 117.

[5] . جودت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص 84

[6]هو الذي يطلي به ، وهو معرب وليس الجص العربي ، وهو من كلام العجم ولغة اهل الحجاز في الجص انه القصى ورجل جصاص صانع للجص وجصص الحائط وغيره أي طلاه بالجص ، ابن منظور ، المصدر السابق مج 7 ،ص 10 .

[7]الادريسي : المصدر السابق ، ص 260.

[8] ورقلة مدينة ازلية بناها النوميديون في صحراء نوميدياالهاسور من الآجر النيء ودور جميلة وحولها نخيل كثير، ويوجد بضواحيها عدة قصور وعدد لايحصى من القرى، الوزان الحسن ، المصدر السابق ،ص 136.

والبيضاء، وتعتبر هذه المادة من احسن ما جادت به الصحراء، وفيها أيضا معدن الشب الأبيض الذي لا يوجد مثله ولا احسن منه بأي بلد[1] اضافة الى المرجان الذي ينبت كالشجرة في الماء ثم يتحجر في نفس الماء بين جبلين عظيمين، وقد وجد في مرسى الخرز وفي حديث المقدسي عن هذا المعدن يقول:<<...ولا اعرف في شيء من البحار له نضير في الجودة، ولا يوجد المرجان في كل مكان غير هذه القرية المدعوة الخرز[2].

3/1 دور السلطة الحاكمة :

لقد لعبت السلطة الحاكمة في المغرب الأوسط في القرنين 4و5هـ دورا مهما وفعلا في ميدان الصناعة ، ودلك من خلال الضرائب المتنوعة التي فرضتها الدول المتعاقبة على المغرب الأوسط في تلك الفترة كالفاطمين ثم الزيريين والحماديين ... الخ ودلك عن طريق الضرائب والتي تبدو فادحة ،ولم تكون في الحقيقة اكثر من اجراء يراد بيه تنظيم الحركة الاقتصادية عامة ودفع الناس الى الجد والاجتهاد في العمل بان المعز الفاطمي [3]، قد ركز في وصيتيه لخيلفتيه على المغرب على عدم رفع الجباية على اهل البادية واوصاه خيرا باهل الحاضرة[4].

ويبدو ان الزيرين فيما بعد يدل على هدا ازدهار الأوضاع في عهدهم من صناعة وتجارة وكثرت الأموال حتى كانوا يصنعونا توابيت كبارهم من العود الهندي لمسمار الذهب[5].

وعلى هدا المنوال سارالحماديون فكانت الدولة الحمادية تتمتع بالكثير من الحرية في اطار المعاملات الاقتصادية لم تفرض عليها أي قيود الا في حدود الواجبات التي تفرضها الشريعة و

[1] مجهول : الاستبصار : المصدر السابق ،ص 84.

[2] .المقدسي: المصدر السابق ، ص 236.

[3] المعز الفاطمي هو أبو تميم الملقب بمعز لدين الله المنصور بن القائم بن المهدي ، عبد الله ، ولد بالمهدية (319هـ/ 931م) بويع بالخلافة في حياة ابيه المنصور وبعد ان مهد جميع بلاد المغرب توجهت انظاره نحو مصر ففتحها سنة 358_269م وكانت وفاته سنة (365هـ/975م) بالقاهرة، ابن خلكان المصدر السابق ، ص 224.

[4] جودت عبد الكريم : المرجع السابق ، ص 77.

[5] نفسه .ص 85.

اتسمت بالليونة في بعض الأحيان فنجد مثلا انه عندما أراد حماد [1]تعمير القلعة عفى السكان من الضرائب وكذلك فعل الناصر[2]عندما أراد تعمير بجاية[3]،وفي هدا الصدد دكر ابن خلدون << اذا قلة الوازائعوالوضائف على الرعية لسطو لعمل ورغبوا فيه فيكثر الاعتمار ويتزايد الحصول الارتباط بقلة الاغتباط بقلة المغرم ...[4].

1/4 وفرة اليد العامل:

لقد ذكرت كتب الرحالة والجغرافيين عن وفرة اليد العاملة المؤهلة في بلاد المغرب الأوسط في القرنين (4و5هـ) والتي عملت في الكثير من الحرف والصناعات اليدوية كالصناعات المعدنية والنسيجية والذهبية والفضية والحرف والبناء ... والخ حيث يذكر الادريسي في قوله <<وبها من الصناع والصناعات من ليس بكثير من البلاد مما يدل على تنوع الصناعات التي ينتجونها واختلاف مهام العاملين والصناع انتقلوا من القلعة نظرا لما شهدته من خراب اثر النكبة الهلالية واستوطنوا ببجاية[5].

[1] حماد بن بلكين بن زيري بن مناد ، صاحب قلعة بني حماد ، قرأ الفقه في القيروان عاش مع ابيه الزركلي واخيه المنصور بن بلكين وخلفه ابنه باديس ، وتولى اعماله عمه حماد في القيروان كانت وفاته سنة 419هـ/ 1029م ، خير الدين ، الاعلام ، ج2، ط15 ، العلم للملايين بيروت ، بيروت ، لبنان ، 2002، ص 217.

[2] الناصر بن علناس بن حماد الصنهاجي احد ملوك الحماديين وباني مدينة بجاية التي توفي بها سنة (481هـ- 1088م)، ابن خلكان المصدر السابق ، ج7، ص 349.

[3] عويس عبد الحليم : المرجع السابق ، ص214، 230

[4] ابن خلدون : المصدر السابق ، 343.

[5]الادريسي : المصدر السابق ، ص 260.

2/ العوامل المؤثرة في النشاط الصناعي سلبا:

1/2 المنافسة الخارجية :

فان صناعة بلاد المغرب الأوسط تجد منافسة خارجية، كالصناعات النسيجية التي اشتهرت بها مدن العراق كالموصل التي اشتهرت بصناعة النسيج، ونسيج مدينة الكوفة ويذكر ابن الفقيه مشاهير المراكز النسيجية<<كالأكسية القزوينية والحلل الأندلسية والحرير الصيني...الخ>>[1]

ويتضح من هذا ان المراكز الصناعية في بلاد المغرب الأوسط قد وجدت مراكز صناعية أخرى تفوقها ، وهذا انعكس على الصناعية المحلية ويجعل منهم صناعة في خدمة الطلب المحلي في اغلب الأحيان .

2/2 التشابه الصناعي بين انحاء بلاد المغرب الاوسط:

ان الصناعة البلاد، بل صناعة المغرب الإسلامي عامة، كانت قائمة بشكل أساسي على الإنتاج الفلاحي والحيواني فهي تشمل معالجة الحبوب بالطحن والعجن وما ينبني عليها من صناعات وتشمل الصناعات الصوفية في الاعم، والصناعات الجلدية، إضافة الى مشتقات الالبان، وهي أمور متوفرة بل تفيض عن الحاجة وفي كل شبر من البلاد، وهنا يقل الطلب والحالة هذه مما ينعكس على الصناعة بالركود[2].

3/2 المكانة الاجتماعية للصانع:

[1] ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص 50.

[2].عبد الكريم جودت : المرجع السابق ، ص 142.

كان الصانع يعتبر من طبقة العامة بل وينظر اليه بازدراء وهذا يدل على ان الصناعة لا يمارسها الا من اوصدت أبواب الرزق في وجهه، وقد شارك فيها فلا يتم بأبدانهم بل باستثمار أموالهم[1].

المبحث الثالث :السياسة الصناعية:

1/ الموارد المالية للدولة الفاطمية في المغرب الأوسط :

[1]. جودت عبد الكريم: المرجع السابق ، ص 142.

وتعمل السياسة الاقتصادية لكل دولة على تحقيق التوازن بين مواردها ومصارفها وقد سارت الدولة الإسلامية على هذه السياسة منذ ظهورها فأنشأت بين المال يقوم على صيانته وحفظه والتصرف فيه لصالح الجماعة الإسلامية، والمال الوارد لبيت مال المسلمين إما أن يكون من موارد الشريعة الإسلامية، كالخراج والجزية، عشور التجارة وحسن الغنائم، الزكاة(الصدقة")[1]".

ولقد سمعت الدولة الفاطمية في المرب الأوسط على الحصول من بلاد البربر على الموارد المالية المطلوبة، كما يحصلون على الجنود، وكان بداية ذلك منذ استيلاء عبد الله المهدي على أرض كتامة واستحواذه على الأموال الموجودة في ايكجان[2]. كما كان للفاطميين <<بيت المال>>أشار اليه بن غداري[3]، وكان من **اهم الموارد المالية:**

الزكاة: باعتبار أن الزكاة فريضة ومورد شرعي والمورد المالي الأول في الإسلام حيث قال الله تعالى:{ وأقيموا الصلاة وآتو الزكاة واقرضوا الله قرضا حسنا }[4]، والصدقات التي يعني بها صدقة الابل والبقر والغنم وما يجب في الأموال وما أخرجت الأرض وصدقة الفطر وكل هاته الصدقات كانت واجبة عند الفاطميين وتعطى في ايديالمشايخ في بيت المال الفاطمي"[5]"، ويذكر ابن عذاري ان عبد الله الشيعي قبض مال الصدقة من الابل والغنم[6]،ويضيف بن حوقل بخصوص مدينة تنس أن لسلطانها بها وجوها من الأموال كثير الصدقات[7].

أما فيما يخص مبالغ الزكاة أو الصدقات التي جمعت في بلاد المغرب الأوسط فهي قليلة.

---

[1] مارسيه جورج ، المرجع السابق ، ص 160.

[2].ايكجان: جبل بين سطيف وقسنطينة فيه قبائل كتامة وبه حصن حصين ومعقل ومنيع ويمتد غمارة كتامة بهذه الأراضي الى ان تجاوز ارض القل وبوتة ، انظر الحميري : الحميري ، ج1: ص159.

[3] ابن عذارى: المصدر السابق ، ج 1 : ص 159.

[4]سورة المزمل : الآية 20.

[5].الحبيب الجنحاني: المرجع السابق ، ص 159.

[6].بن عذاري :المصدر السابق ، ج 1، ص 159.

[7].ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ص 78، 94.

الجزية: قال الله تعالى: {قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون}[1] . والجزية عند إصلاحات المؤرخين مبلغ محدد من المال يفرض على أهل الكتاب اليهود والنصارى من رعايا الدولة الإسلام[2]وعليه فرضت عليهم الجزية مقابل حمايتهم ويعتبرها آدم معتز بانها بأنها أشبه بضريبة الدفاع الوطني[3]وفي العهد الفاطمي كانوا يراعون عند جبايتهم الجزية أحوال الناس وظروفهم من يسر وعسر فكان لا يدفعها الفقراء الذين لا يجدون شيئا ولا يستطيعون العمل كالشيوخ العاجزون وكانت تسقط في حالة دخول الإسلام وتختلف في الدراهم[4].

كما أشار أيضا إبن حوقل في ذكره مدينة تنس أنه <<كان لسلطانه:ا بها وجوه من الموال الكثيرة ...والجوالي>>[5]وذكر ابن حوقل الجزية او الجوالي في بلاد المغرب الأوسط دلالة على وجود اهل الذمة في بلاد المغرب الأوسط، إلا أنه لم يذكر مبلغ الجزية هذه ولا عدد اهل الذمة وعلى كل فقد كانت موردا شرعيا يضاف الى موارد الدولة في بلاد المغرب الأوسط.

الخراج: نضام مالي يؤخذ بمقتضاه مقدار معين من المال أو الناتج الزراعي للأرض تبعا لمساحتها وجودتها ونظام الخراج المطبق على الأرض المفتوحة يختلف عن النظام المطبق على الأرض الذي استحوذ عليها المسلمون بدون قتال وصالحوا أهلها على ان يتركوها لهم بخراج معلوم.

---

[1].سورة التوبة : الآية 28.

[2].لخطيب عبد الكريم مصطفى : معجم المصطلحات والالقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة ، ط 1، د، ب ، 1996، ص 123.

[3].ادم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هـ، تر محمد الهادي أبو ريدة ، مصطفى لبدي عبد الغني د، ج1، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، القاهرة 2008، ص 78.

[4].جودت عبد الكريم موسى: المرجع السابق ، 396.

[5]. ابن الحوقل: المصدر السابق ، 94.

لقد جبى الفاطميون الخراج[1] فذكر ابن حوقل ضمن موارد الفاطميين حيث تعرض الى وجوه جباية الأموال في تنس كما سبق وكان الفاطميون لا يسامحون في صغيرة ولا كثيرة وهذا يحفز الناس على العمل والإنتاج، وكانت قبيلة تمتنع عن دفع الخراج كما ذكر أن خراج المسيلة كان غزيرا ويرجح ان الفاطميين قد جنوا أموالا طائلة من الخراج لانهم كانوا حريصين كل الحرص على ضبط مبلغ الخراج ومعرفة حساباته بالتحديد[2] .

العشور :اقتضت سياسة الدولة الإسلامية فرض ضرائب ورسوم تأخذ على الأراضي التي يزرعها المسلمون وعلى الأموال وعروض تجارة اهل الحروب واهل الذمة المارين بالبلاد الإسلامية ، وتلك وتلك الأراضي هي أراضي اسلم أهلها عليها [3]وقد جبى الفاطميون العشور كذلك فحين سال عبد الله الشيعي احد جباه للزمة وطنية عن المال الذي معه قال له :<< من العشر فقال عبد الله : اذهبوا بهذا المال فليرد كل رجل ما اخذ منه واعلموا الناس انهم أمناء على مايخرج الله من أراضيهم وسنة العشور ومعروفة في اخذه وتفرقته [4]، كما أشار ابن حوقل ان العشر ضمن موارد الدولة الفاطمية ، فاشار الى جبانة العشر من التجار فذكر تعشير تجار الاندلس كان يتم في طريقه إضافة الى مايعشر على سواحل البحر[5].

وكان شان العشور كغيره من الموارد المالية ، فلم يذكر المؤرخون والرحالة عدد مبلغ جبايته من بلاد المغرب الأوسط ولا الى عشور كل ناحية من البلاد .

[1] الخطيب مصطفى عبد الكريم :المرجع السابق ، ص 24.

[2]المرجع نفسه ، ص 40.

[3]جودت عبد الكريم :المرجع السابق ، ص 403

[4]ابن عذارى :المصدر السابق ، ج1، ص 141.

[5]ابن حوقل :المصدر السابق ، ص ص 78، 94.

الفيء والغنيمة:الفيء كل ما وصل الى المسلمين من المشركين من غير قتال ولا إيجاف ولا ركاب ، وجاء في قوله تعالى :{ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربة واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم}.[1]

اما الغنيمة فهي كل ما أصابه المسلمون من عساكر الكفار عن طريق الحرب، حتى يأخذوه عنوة [2]وجاء في قوله تعالى :{واعلموا انما غنمتم من شيء فأن الله خمسه وللرسول ولذي القربة واليتامى والمساكين وابن السبيل}.[3]

ولقد عنيت الدولة الفاطمية في المغرب الأوسط بالغنيمة والفئ بسبب انه عهدو حروب مستمرة ، فقد دخل أبو عبد الله الشيعي تيهرت فقد قتل بعض الرستميين وهرب البعض الاخر وحصل في الغنائم كما دخل عساكر المهدي تيهرت سنة 299هـ/914م فقتلوا الرجال وسبوا النساء والذرية وانتهبوا الأموال[4]، وكان الفاطميون يعطون هذه الأموال تفسيرا خاصا فهم يقولون :<< ليست الغيمة ماخذ من ايدي المشركين خاصة بل ذلك ماكسب المرء فهو غنيمة >>[5].

كانت الغيمة كغيرها من الموارد ترسل الى خارج بلاد المغرب الأوسط شرقا وغربا وكان في القيروان ديوان جمع المغرب التي تحبي اليه الأموال[6].

ما يباع ويشترى ، ولقد اقام الفاطميين مراصد خاصة بالمكوس في مواضع مختلفة من البلاد، فقد ذكر ابن حوقل بخصوص تنس ان للسلطان الفاطمي بها << مراصد على المتاجر الداخلة والخارجة والصادرة والواردة >>[7] .

---

[1] سورة الحشر : الآية 7.

[2] ا لريس محمد ضياء الدين : الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، دار المعارف ، ط 1969، ص 121.

[3] سورة الانفال : الآية 40.

[4] ابن عذاري: المصدر السابق ، ج1، ص 250

[5] جودت عبد الكريم : المرجع السابق ، ص406

[6] المرجع نفسه .

[7] ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ص ، 89 ، 94.

كما عرف الفاطميون نظام التقبيل ، وهي ضرائب يدفعها اهل الحرف وبائعو السلع الرئيسية بينما التقبيل يعني نظام الجباية[1].

المستغلات: يعرفها ابن حوقل بان << تربتها للسلطان >> وقد ابتنى فيها التجار الأسواق وغيرها فالبناء لهم ويؤدون اجر الأرض [2]، أي انها تشمل جميع المنشآت التي يقيمها الناس على ارض حكومية من أسواق وخانات وفنادق وطواحين .

المصادرة: كانت من ضمن الموارد المالية للفاطميين في المغرب الأوسط، فقد ذكر ابن عذاري ان المهدي الفاطمي كان يظهر<< التعلل على أموال الناس في كل جهة>>[3] ، وهذا يعني انه تعلل على أموال الناس في بلاد المغرب الأوسط، الا انه لم يذكر المصادر مبالغها، الا انها ومهما كانت هذه المبالغ فإنها تأخذ طريقها الى بيت المال الفاطمي.

أموال الامتحان: حسب أصول المذهب الامتحان في الأموال وهو يمثل طريقة لجمع الأموال"[4]"،حيث يقول القاضي النعمان:<< جعل عز وجل للائمة صلوات الله عليهم عند استنفاذهم اولياءهم في أموالهم وفي ما احبوه وما رأوا ان يمتحنوهم به ما رأوا من ذلك>>[5].

ولقد طبق الفاطميون هذا الامتحان في المغرب الأوسط فلقد امتحنوا الناس في أموالهم ما داموا امتحنوهم في اعراضهم الى ان قام عليهم الناس فقتلوا بعضهم[6].

أموال التطوع:هو مورد اخر من موارد الدولة الفاطمية وذلك من خلال قولهم << المؤمنون بعد ذلك مندوبون الى التطوع بالإنفاق من أموالهم في سبيل الله ورفع اوالهم منها الى اولياءهم

[1] جودت عبد الكريم : المرجع السابق ، ص 407

[2] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 265.

[3] ابن عذاري: المصدر السابق ، ج1، ص 181

[4] الحبيب الجنحاني: المرجع السابق ج1، ص212

[5] المرجع نفسه

[6] ابن عذاري : المصدر السابق ، ج1، ص 185

او من اقاموه لقبض ذلك منهم وذلك مفروض فيه اليهم وليس عليهم فيه توقيت ولا فرض معلوم وانما هو تطوع >>[1].

ولقد دفع بعض شيعة المغرب الأوسط مبالغ الى الفاطميين على سبيل التطوع، كما ذكر ابن حوقل << ان سلطان المغرب في مرسى الخرز ناظرلي صلاتها ومعاونها وما يلزم من معدن المرجان>>[2] وهذا يعني وجود جباية الصلاة والاعانات كان يقدمها الناس هناك بالإضافة الى الضرائب المفروضة على المرجان في مناطق مختلفة من بلاد المغرب الأوسط .

أموال الهجرة والفطرة: فقد فرض عبد الله الشيعي على أنصار من بلاد كتامة دينار الهجرة ودرهم الفطرة [3] وجعليه حقا وواجبا في أموال الامة[4].

الاحباس: هي الأموال الموقوفة على جهات بر لا تنقطع كالدور والفنادق وغيرها وقد شكلت مورد مالي للفاطميين في المغرب الأوسط [5].

المغارم: اعتبرت من الموارد الهامة عند الفاطميين والزيرين من بعدهم ولقد حملت قبائل المغرب الأوسط الكثير من هذه الضرائب وذلك راجع الى حروبهم العديدة فكانوا يغرمون القبائل التي حاربوها جميع التكاليف التي انفقوها في اعداد وتسيير حملاتهم[6].

الخمس: هي ترتيب ضريبي [7] يتمثل في حق الامام في الخمس، والخمس ظهر في الناحية التشكيلية كضريبة اختيارية يدفعها القادرون، ويعتبر الخمس من علامة الولاء اذ يصبح الامام المطلق التصرف فيما يحتويه من الأموال الواردة والصادرة ويعتبر الخمس من الموارد الشرعية

[1] الحبيب الجنحاني: المرجع السابق ، ص 212

[2] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 76.

[3] الحبيب الجنحاني: المرجع السابق ، ص 210

[4] جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق ، ص 210.

[5] المرجع نفسه ، ص 210.

[6] المرجع نفسه ، 210.

[7] زغلول سعد : المرجع السابق ، ص 137.

حيث قال الله تعالى: { وأعلموا انما غنمتم من شيء فأن الله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وانزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان}[1].

في الأخير تستنتج ان الموار المالية للدولة الفاطمية من المغرب الأوسط تكونت من خلال السياسة من المجال الاقتصادي التي اختلفت عن سابقتها فقد فرض الفاطميون العديد من الضرائب الشرعية والغير شرعية واعتمدوا الحزم والصرامة اساسا في سياستهم المالية وكانوا لا يتسامحون في امر فرضوه ولا يؤجلونه ولا يتنازلون عن مغرم من المغارم بأية حال من الأحوال [2]، لذى نجد تعدد واردات بنت المال واوجه النفقة فتمثلت تبعا لأهميتها في اعداد الدواوين ونشر المذهب الفاطمي والعناية بالعلم عصبة الدولة واصل قوامها الكاهنة الى جانب شراء الاعوان الخلفاء المجاورين مما كان يسهل تمدد الدولة إقليميا وتوسعا معنويا وإقامة المدى من ملكية وشعبية والعناية بالأسواق والحرف والصناعات لجهة الحضارة الفاطمية الحمادية[3] .

2/الموارد المالية للحماديين:

قبل ان يغادر المعز لدين الله الفاطمي ارض افريقية أوصى يوسف بن حماد قبيل رحيله الى القاهرة سنة 321 هـ:<<إن نسيت ما اوصيناك به فلا تنسا ثلاث أشياء : اياك ان ترفع الجباية عن اهل البادية ... وافعل مع اهل الحاضرة خيرا >>[4]كما حاول قبل رحيله فرض جباية خاصة على سكان بلاد كتامة يقول:<<ياخوانينا قد رائينا ان تنفذرجلا من قبلنا الى

[1] سورة الانفال :الآية 41.

[2]زغلول سعد : المرجع السابق ، ص 144.

[3] نفسه، 144.

[4] ابن عذارى: المصدر السابق ، ج1 ، 240.

بلدان كتامة يقيمون بينهم ويأخذون صدقاتهم ومراهيهم ويحفظونها علينا في بلادهم فإذا احتجنا اليها انقذنا خلفها فاستعان بها على مانحن بسبيله >>[1]، هذا الامر الذي رفضه شيوخ كتامة .

كان بلكين أبو يوسف المختار بولاية بلاد البربر يتمتع ظاهريا بسلطات حربية وإدارية ومالية واسعة لأنه كان قائد جيش، المشرف على جمع الضرائب، المسؤول الأول على جميع الولاة الذين كانوا تحت قيادتهم [2] كما اوكل اليه جباية الأموال في زيادة الله بن القديم الذي كان يجبيها ويرسل منها الجزية الى دار الخلافة ،والضرائب التي يؤديها التجار واصاف الحرف و الجزية المفروضة على اهل الذمة، وهذه الجبايات كانت منظمة تنظيما دقيقا يحرص عليها رجال متخصصون وكانت تدخل من جرائها الخزينة السلطانية أموال طائلة [3]، وارسال جزء منها الى القاهرة، وكان هؤلاء العمال خاضعين لمراقبة بلكين[4].

نجد تعدد المصادر المالية في الدولة الحمادية وبتنوعها ملء[5] الخزينة في الدولة الحمادية وخصوصا في غنائم الحروب إضافة الى المبادلات التجارية التي تتم في الموانئ [6]، بعد الموارد الشرعية كالخراج والعشر والصدقات والمراعي والجوالي (ضريبة الرؤوس) والمراشد (مكوس المرور) والاعشار الموظفة في الموانئ على السلع المستوردة من بلاد الروم والاندلس والأداء الموظفة على الصادرات من القيروان الى مصر ، والورق والنقود المصدر هو أيضا من القيروان ، ومن ناحية أخرى كان أصحاب الاعمال يقدمون هيبة الى الأمير الذي يعينهم او

[1] المقريزي تقي الدين والعباس احمد بن علي : اتعاظ الحنفاء باخبار الائمة الفاطميين : تح ونشر جمال الدين الشيال ،دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1367هـ/1948م ، ص 97

[2] مارسيه جورج : المرجع السابق ، ص 180.

[3] طمارمحمد : المغرب الأوسط في ظل صنهاجة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، دط ، 2020، ص 184

[4] مارسيه جورج : المرجع السابق ، ص18

[5] مارسيه جورج المرجع السابق ، ص 211

[6] عويس عبد الحليم المرجع السابق ، ص 208

يثبتهم في مناصبهم عند ارتقاء الجيش وكانوا يستأثرون لفوائض الارادات بالنسبة الى المبالغ المطالبين بدفعها لخزينة الدولة تطبيقا للقوانيين الصادرة بهم في هذا الشأن [1] .

ولقد كانت لهذه السياسة نتائجها وثمارها فأشهرت بلاد المغرب ببساتينها وحقولها وزراعتها المختلفة ناهيك عن الأموال التي تكدس في خزائن الدولة والتي ظهر منها محملا مع الفاطميين الى مصر[2].

كما يبين ابن عذاري في قوله :<< ان باديس قد ارسل الى الحاكم الفاطمي هدية جليلة شيعها بالطبول والبنود وكان فيها مائة فرش لها سروج محلاة شدة في ثمانية عشر حملا اقفاصا، وكان فيها ثمانية عشر حملا من الخز والسمور والمتاع السوسي المذهب النفيس >>[3]

في الأخير نستنتج ان ميزانية الحماديين و كانت تعتمد على نفس موارد الخلفاء الفاطميين، فالمؤكد ان نظامهم الضريبي كان اقل اجورا من الفاطميين، وان استخدم الضرائب كان مختلفين في العهدين فلم يكون لبني زيري وبن حماد خزينة حرب كما لم يكون لديهم فكرة الهجرة الى المشرق، فالمال الذي يجمع يبقى في البلاد والأمير هو المتصرف فيه .

[1] روحي ادريس الهادي المرجع السابق، ص 222

[2] جودت عبد الكريم المرجع السابق ، ص 424

[3] ابن عذاري المصدر السابق ، ج 1، ص 375

الفصل الثاني:

تطور النشاط الصناعي

وعلاقته بالحياة الاقتصادية

المبحث الاول: دور الصناعة في الزراعة

تعد الزراعة كحرفة منذ آلاف السنين ، مارسها الإنسان لتوفير الغذاء، كما لعبت دور مهم في تطور المجتمعات وازدهارها لأنها أساس الأنشطة الاقتصادية الأخرى من صناعة وتجارة، لذلك نجد أن الإنسان منذ القدم تشبث بالأرض واستقر بها [1].

ولقد أعطى الإسلام عناية خاصة بالزراعة، حيث ذكرت في العديد من الآيات القرآنية والحديث النبوي الشريف، حيث قال تعالى: ﴿ رأيتم ما تحرثون، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون، لو نشاء لجعناه حطاما فظلتم تفكهون﴾ [2]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا، فيأكل منه طيرأو إنسان أو بهيمة إلا كان له بهصدقة.»[3].

يعرف ابن خلدون الزراعة بقوله: (وهذه الصناعة من فروع الطبيعيات وهي في النبات من حيث تنميته ونشوئه بالسقي والعلاج وتعهده مثل ذلك)[4].

لقد كانت بلاد المغرب الأوسط مزدهرة في المجال الزراعي، فانتشرت البساتين والمزارع وذلك بشهادة الرحالة والجغرافيين، حيث ذكر أن قسنطينة [5] ،كانت ذات تربة خصبة صالحة للزراعة والزرع فيها وفير وبها بساتين ، وهي على جبل عال كثير الحصى والأجنحة والبساتين .

وعرفت عدة مدن بخصوبة تربتها منها مدينة ميلة [6]، التي كانت كثيرة الحصى ولها جبل هو أخصب جبل إفريقية ... وكانت مدينة المسيلة [7]على أرض منبسطة وبمدينة تاهرت المعروفة بعراق المغرب، كما ذكر الحسن الوزان العديد من المدن الخصبة منها شرشال المدية، دلس هذه الأخيرة التي كانت تنتج القمح بوفرة.

---

[1] . مزدو ر سمية: بادية المغرب الاوسط، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، المسيلة 2018 ،ص 50.

[2].سورة الواقعة: الاية 63-65.

[3]. أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منة رقم 2320 ،دار ابن كثير للنشر، بيروت، لبنان، 2002 ،ص 558 .

[4]. ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 456.

[5] . الحموي: المصدر السابق، ص 349.

[6] .الوازن حسن ، المصدر السابق ، ص56.

[7]. . الحموي: المصدر السابق، ص 52.

حيث تعتبر الزراعة العصب الرئيسي لاقتصاد الريف وهي تشتمل على زراعات عديدة منها الحبوب والقطاني والمقاتي وغراسة الأشجار[1] ، و تطورت بفعل القيام بإصلاحات زراعية و إحياء أراضي الموات والبور و توسيع المساحات الزراعية و كذا تعميم استعمال التقنيات الفلاحية المعروفة في تلك الفترة[2]، كإقامة المصاطب على الأودية والمدرجات على الجبال و سقوها بمياه الجداول والينابيع و كذا البحث عن الماء و استغلاله في تطوير الزراعة ،فالنباتات لا قوام لها إلا بالتراب و الماء ، وليس يمكن أن يتم أمره ما دون الهواء و النار ، فإذا أخذنا بذرا و وضعناه في ماء وتراب و منعنا عنه الهواء و الشمس لم ينبت ، فإن جعلناه في الأرض بحيث يلقى الهواء والشمس ، و سقيناه بالماء نبت و نما و أثمر[3]، ومما تقدم فالأرض هي أهم ما قامت عليه الزراعة وكانت في أرياف المغرب الأوسط أنواع من الأراضي من حيث الملكية فهناك أرض مملوكة يمكن لأصحابها كرائها وتوريثها وبيعها وهبتها وهي محدودة جدا في أعيان البربر و شيوخهم ، و وجدت هذه المليكة نتيجة استحواذ هؤلاء على هذه الأراضي و أراضي أخرى جديدة نتيجة لنفوذهم داخل قبائلهم و خاصية هذه الأراضي أنها ملكيات كبيرة تشبه ملكيات الأمراء و السلاطين ، كما وجدت ملكيات صغيرة تحيط بالقرى و المداشر ، وكذا أراضي ملكت عن طريق الشراء ، و كان هذا النوع قليل لأنه خاص ببعض الأمراء و أصحاب الأموال الطائلة[4]، وهناك أراضي حبسية أو أراضي إقطاعية تنازلت عنها السلطة لفائدة جماعة أو فرد لقاء خدمة أو إصلاح أو تجنيد أو بالانتماء إلى العصبية الحاكمة ووجدت أراضي ملكت عن طريق إحياء أراضي الموات[5]،"كما وجدت الأراضي الجماعية التي تكون ملكا للقبيلة

---

[1]. محمد حجي : نظرات في النوازل الفقهية ،ط1 ، منشورات الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة و النشر ،مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 1999 .ص 149.

[2]. محمد حجاج الطويل : التجارة الداخلية و أثرها على ضعف الدولة الموحدية ، مقال في أعمال ندوة التجارة في علاقتها باتمع و الدولة عبر تاريخ المغر ب ،المنعقدة في جامعة عين الشق بالدار البيضاء من 21إلى 23 فبراير 1989 ،القسم الثاني ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 1989، ص 146 .

[3].عبد المالك بكاي :العمل الزراعي في أرياف الغرب الاسلامي خلال نهاية العصر الوسيط ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، المجلة التاريخية ، عدد 4، ص35.

[4]. محمد حجاج الطويل: الفلاحة المغربية في العصر الوسيط ، رسالة ماجستير مرقونة بكلية الاداب والعلوم الانسانية ، الرباط ، 1988، ص66.

[5].الونشريسي ، المصدر السابق ، ص 117.

للقبيلة وتكون طرق الاستفادة فيها مختلفة على حسب العادات و التقاليد وليس لغير أفراد القبيلة أن ينازعوهم فيها ، فعادة ما كان " أهل بلد بينهم وبين جيرانهم حرب ، ووقع بينهم قتل ، فصالح شيوخ ذلك البلد القوم الذين حاربوهم على نصف الوادي الذين يسقون به أهليهم و أراضيهم و جميع الوادي لخلق كثير[1]، كما وجد قومبينهم أملاك يتوزعوا و يحرث كل واحد منهم أرضا على سبيل التوسعمن خلال الإشارتين السابقتينالتي أوردهما الونشريسي نستنتج وجود أراضي جماعية فمصطلحي و جميع الوادي لخلق كثير ، و قوله أملاك يتوزعوا تدل على وجود الملكية الجماعية للأراضي،وارتبط حكم الأرض بالتشريعات الإسلامية التي بدورها تحكمت فيها عوامل تاريخية ، ولقد اهتم الفقهاء منذ وقت مبكر بمحاولة معرفة أرض بلاد المغرب هل هي أرض صالحة أم أرض عنوية، والسبب يرجع إلى نوعية الضرائب التي يمكن أن تفرض على ملاك هذه الأراضي وتصرف لبيت المال[2].

ويرتبط السؤال عن نوعية أرض المغرب ارتباطا وثيقا بالتطورات السياسية لهذه المنطقة فكان انتقال الحكم من عصبية إلى عصبية أخرى يصاحبه اقتسام جديد للمجال ومن ثمن يظهر مستفيدون جدد من المنضوين تحت العصبية الحاكمة ومتضررون من المتغلبين القدامى ،وعلى هذا الأساس كان المغلوبون يحاولون رفض الوضع الجديدومن أشكال الرفض استفتاء الفقهاء الذين أنصفوهم في كثير من المراتمثل " العادة جرت ببيع الأرضالقانونية بالمغرب وإرثها ، والظاهر من حالها أنها مملوكة[3].

[1] .الونشريسي، المصدر السابق ، ص518.

[2] .نفسه ، ج6، ص134.

[3] .نفسه ، ج1، ص365.

عناصر العمل الزراعي:

1) الأرض:

تنوعت الأرض التي قامت عليها الزراعة في أرياف المغرب الأوسط بتنوع تضاريس المنطقة ، فوجدت في السهول و في الهضاب و على سفوح و منحدرات الجبال و على ضفاف الأودية والأنهار و حول نقاط الماء و .في المناطق الصحراوية [1] تنوع هذه التضاريس جعل من الأرض الريفية المغرب أوسطية متنوعة بين أراضي خصبة وأراضي متوسطة الخصوبة و أراضي غير صالحة للزراعة فهي متعددة لاختلاف مناطقها، و توجد غالبا على ضفاف الأنهار و السهول، فكانت على منها التربة السوداء وتعتبر أجود الأراضي ، و أراضي إقليم بني راشد من جهة الجنوب تقع ضفاف التافنة أراضي جيدة تزرع فيها حاجيات السكان[2] تقع على السهول و هي صالحة للزراعة كما توجد التربة الحجرية و هي قليلة الفائدة و تكون صعبة الاستغلال ، و وجد هذا النوع من الأرض المناطق المحيطة بتبحيرت و هي أرض هزيلة لا ينبت فيها سوى القليل من الشعير والدخن ، و لا تختلف أرض جبل مطغرة عن أراضي تبحيرت فهي أرض جبلية لا ينبت فيها غير الشعير[3] و هذا النوع من الأرض غالبا ماكون في الجبال و هي تقريبا نفس الصفة التي تتميز كل الأراضي الجبلية ، و هي ملاحظة تكرر ذكرها عند الحسن الوزان و مارمول كربخال عند حديثهم عن جبال المغرب الأوسط ، غير أن الاستثناء موجود في الأراضي الموجود في القل كلها جبلية غير المنتجة[4].

كما توجد أيضا التربة الرملية ومنها ما هو صالح للزراعة إذا سقيت و سمدت بالأسمدة فأراضي صحراء تيكورارين بهذه الأوصاف، الاأن مارمول كربخال يناقض الحسن الوزان و يرى أن أراضي هذه المنطقة رديئة للغاية و قلما يجد أهلها أرض ليزرعوها هذا التناقض يجعلنا نبحث عن أي الرأيين أقرب للحقيقة و قد يكون يكون رأي مارمول كربخال هو الأصح لأنه

---

[1] .يوسف نكادي : خصوصيات وتحولات المجال الريفي في بلاد المغرب خلال القرن الخامس هجري ، مقال في مجال البدوي المغربي ، تنسيق حليمة بنكرعي واخرون ، منشورات مجموعة في البحث في تاريخ البوادي المغربية ، ط1، مطبعة مكتبة دار السلام ، الرباط 2007، ص19.

[2] .الحسن الوزان : وصف افريقيا، تر محمد حجي ومحمد الاخضر ، ط2 ، ج2 ، دار الغرب الاسلامي ؟، بيروت 1983، ص12.

[3] .نفسه ، ص43.

[4] . الحسن الوزان : المصدر نفسه ،ج2 ص 54.

وكما هو معروف فالتربة الرملية قليلة الخصوبة عموما هذا من الجهة ومن جهة ثانية فمن ميزات التربة الرملية أن الماء فيها ينفذ بسرعة وهو ما يجعلها بحاجة إلى كمية كبيرة للماء ، و الصحراء معروفة بفقرها إليه.

وتعتبر أراضي بلاد الزاب من الأراضي الرملية التي لا يوجد ا إلا القليل من الأراضي الصالحة للزراعة[1].

و يجب على المشتغل بالفلاحة معرفة الأرض معرفة جيدة " فأول مراتب علم الفلاحة هو معرفة الأرض و .ميزها و علم جيدها من دنيها و من لا يعلم ذلك فقد أضاع الأصل و استحق في هذه الصناعة اسم الجهل[2]على كل فإن التربة تنشأ و تتكون تحت تأثير عوامل مختلفة ، بعضها بيولوجي مرتبط بمكونات التربة نفسها ، و بعضها مناخي مرتبط بكميات التساقط و درجة الحرارة و الرطوبة ، هذه العوامل تحدد طبيعة التربة و مستوى خصوبتها[3]و لم يقل دور الإنسان عن العوامل السابقة ، فكان له دور في تدني مستوى خصوبة التربة بفعل الاستغلال غير العقلاني لها و هو ما يؤدي إلى إجهاد التربة ، كما يمكنه المحافظة على استمرارية خصوبتها عن ، كما على طريق الاستغلال العقلاني و استعمال المواد المخصبة لتعويض ما فقدته التربة من مواد عضوية الفلاح إراحة الأرض و ذلك ببذر أقسام منها و ترك أقسام أخرى تستريح[4].

2) التسميد:

اعتبر صاحب مفتاح الراحة تسميد الأرض بمثابة الدواء للإنسان " لما كانت الأدوية المركبة يعالج بها الناس لدفع الآلام ، كذلك احتيج لدفع العوارض عن النباتات بأدوية مركبة من الأزبال والأتبان والأرمدة ، وإنما سبب و لتسميد الأرض وتخصيبها عمد علماء ذلك المضارعة و المشاة بين الحيوان و النبات في الأمراض والعاهات " علماء الفلاحة إلى تبيان أهم أنواع

---

[1] . الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج2 ص 138.

[2] . ابن العوام الإشبيلي :كتاب الفلاحة ،نشر و ترجمة خوسي أونطونيو بانكيري ، ج1 ، مدريد ، 1802 ،ص 37- .

[3] . – 6 . يوسف نكادي : الزراعة في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري ،ط1 ، مطبعة الجسور وجدة ، المغرب ، 2007،ص237.

[4] . – 8 إبراهيم القادري بوتشيش وعبد الهادي البياض : التربة آفاتها ، و تقنيات علاجها و تدابير استغلالها في ضوء الأدبيات الفلاحية الأندلسية ، مقال في كتاب الفلاحة و التقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط ، تحت إشراف حسن حافظي العلوي ، منشورات عكاظ ، 2011 ، ص233.

الزبول التي تخصب الأرض، إذ اعتبر خرو الحمام أجود أنواع الزبول ثم تأتي الأنواع الأخرى أحسن زبل الطير زق الحمام فبحرارته يميت الأعشاب ، ثم زبل الحمير ثم زبل الغنم ثم زبل البقر[1]،و تعود جودة خرو الحمام لكون كميات قليلة منه تكفي لإنعاش أي نوع من النبات قد يكون في طريق الاحتضار، كما أنه يقضي على بيض الجراد قبل تفريخه[2].

3) الحرث:

يسمى تقليب الأرض في أرياف المغرب الأوسط بالميالي[3]، وهو لا يختلف إلا في أمور بسيطة ، فيبدأ أولا بحرث الأرض[4]، و يتم على مراحل بواسطة المحراث الذي يتكون من أجزاء خشبية و أخرى من حديد وهي السكة و قد تتعرض أداة الحرث للتلف وتتكسر تحت العود ويرجع السبب في ذلك أن يتكأ على المحراث بقوة ، كما يحتاج الفلاح إلى الأداة أو الماعون و يتكون من عناصر عدة منها المضمد على الزوج و القرن بالحبال والرسن و القتب و الشكال كما استعمل أيضا الزوج الذي يكون من الثيران و البقر وهو ما يستشف من نازلة أوردها الونشريسي في المعيار مفادها من اشترى ثورا للحرث فوجده جاهلا لا يحرث، و يكون الحرث عند الثور برؤوسها و عند البقر أعناقهاو خلف استعمال هذه الحيوانات في الحرث الكثير من المنازعات ، فإذا اشترى رجل ثورا بغرضالحرث لكن ليس في وقت الحرث و لما بلغ الوقت تبين أنه لا يحرث فليس له رده ، بخلاف لو اشتراه في وقت الحراثة ولم يكن أصحاب الأراضي كلهم ملاك لثيران الحرث لذا انتشرت عادة استعارة أو استئجار الثيران لذلك ،وما يشترط على المستعير أن يضمنها[5]و ربما يرجع السبب في انتشار هذه العادات مع وجود منازعات دعتإلى عرضها على الفقهاء للبت فيها لكون عددها قليل و ثمنها غالي.

4) الزريعة:

---

[1]: ابن العوام الإشبيلي: المصدر السابق، ص100.

[2] : يوسف نكادي: الزراعة في الأندلس، المرجع السابق، ص240.

[3] .محمد حسن: المرجع السابق، ص269.

[4]. الونشريسي: المعيار، المصدر السابق، ج01، ص138..

[5].الونشريسي، المصدر السابق، ج06، ص55.

اهتم الفلاحون المغاربة بالزريعة و البذور الجيدة و لهذا سعوا إلى البحث عن أصلح و أجود و أسمن البذورو تحاشي الرقيق و الهزيل منها ، و عمدوا إلى البحث عنها في شتى الأقطارفمثلا في الحبوب فالأجود هيالتي حال عليها حول على حصادها ، و كلما زادت المدة قلة جودتها[1]. و بالنسبة لعنصر الزريعة لم ترد النصوص التي تتحدث عن عدم توفرها ، بل حديث النصوص عن كثرة الإنتاج يستخلص منها توفر الزريعة ، ويستثنى هنا أوقات الكوارث الطبيعية من جفاف وجليد و جراد و سيول ، وتحدثت كتب النوازل عن مشاكل تتعلق بجودة ورداءة الزريعة، ومنها عدم نبات الزريعة ومن ذلك " الزريعة المشتراة لم تنبت و لم يبق منها ما يجرب هل على البائع يمين أنه ما باع إلا ما ينبت " و كانت إجابة الفقيه بأن التجربة تظهر صدق المشتري و إن كان البائع لا يعرف ذلك يعوض بقيمة الضرر إما إن كان مدلسا فعليه، كما اشترى رجل شعيرا على أنه زريعة فلم ينبت و تبين له أنه غرر به التعويض بجميع الثمن[2]، و عمد بعضهم إلى بيع زريعة البصل على أنها جيدة فتبين بعد زرعها أنها لا تنبت، و لم يعرف ذلك إلا من قول لمشتري و البائع ينكر ذلك، والحل هنا إن كانت البينة لم تفارق المشتري حتى زرعها في أرض ناعمة، و لم يضيع سقيها في وقتها، فعلى البائع رد الثمن إلى المشتري، و لا يعوض عليه بالزريعة إذ لا فائدة منها، و إن لم يكن للمشتري بينة ، و شهد عدول على أن الأرض لا يصلح نباتها وحلف البائع أنه أعطاه زريعة جيدة في،كما أورد الونشريسي نازلة مفادها أن رجل باع زريعة حناء و أخبره علمه و أنه لم يغرر به فلا شيء عليه لا تنبت ، فإن كان غرض المشتري غرس هذه الزريعة لا يجوز هذا البيع أما إن كان لغير ذلك جاز البيع"[3]"، و إذا وجد من صرح بالزريعة التي لا تنبت فقد وجد من كتم ذلك وكلف وكيل لبيع زريعة الحناء على أنها تنبت ، فلما اشتراها المشتري وجدها لا تنبت و أقر الوكيل أنها الزريعة التي باعها و أنكر صاحبها أنها زريعتهفالقول هنا قول الوكيل مع يمينه[4].

5) الحصاد:

[1] .عبد المالك بكاي، المرجع السابق، ص44.

2.الونشريسي، المصدر السابق، ج06، ص56.

[3] . الونشريسي، المصدر السابق، ج10،ص327..

[4] . نفسه،ج08، ص168.

استعمل في الحصاد المنجل و الأدوات المرافقة له في الحصاد كالتباندة و هي صدرية من الجلد توضع لوقاية الحصاد من الشوك ، شوك ، و أغطية من خشب أو قصب توضع على أصابع اليد اليسرى وقاية لها من ضربات المنجل في ، و يكون الحصاد في الاستغلاليات الصغيرة و الواحات و المناطق الجبلية عن طريق الاقتلاع [1]، أما في الاستغلاليات الكبيرة فيتمفيتم العمل ادة ،باستئجار الحصادة مقابل أجرة عينية ومن ذلك أن يأخذ نصيبا من المحصول أو نقدية [2]، أو عن طريق التضامن بين القبائل (التويزة) ، ويبدأ العمل من طلوع الشمس إلى الزوال ، أما الدرس فاستعملت فيه المدرات و المجرفة و التي تصنع من الخشب الصلب نسبيا كالبقس أو الزبوج أخشاب سريعة التشكيل كالأرز و العرعار ، في حين استعملت المدرات في نقل أغمار الزرع[3]إلى الأندر و تستعمل أيضا لتصفية الزرع، و عمد الفلاح لمواجهة أي طارئ إلى الادخار .

المبحث الثاني : دور الصناعة في التجارة

[1] . محمد حجاج الطويل، المرجع السابق، ص84.

[2].الونشريسي ، المصدر السابق ،ج8 ص232.

[3] . محمد حجاج الطويل، المرجع السابق، ص87.

اهتم الاسلام بالتجارة وحث عليها بما فيها من الفوائد على الانسان كما جعل لها قواعدوتنظيمات يجب إتباعها أثناء ممارسة النشاط التجاري، حيث قال الله تعالى﴿ يا أيها الذين امنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما﴾[1].

ويعرف ابن خلدون التجارة على أنها: (محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغاء مهما كان نوع هذه السلعة)[2]وعليه ومن خلال تعريف ابن خلدون يتبين لنا أن التجارة هي عملية بيع وشراء وهي ركن من أركان النمو الاقتصاديومما جاء في المصادر فقد شهدت بلاد المغرب الاوسط في القرنين 4 و 5 هـ حركة اقتصادية نشيطة وقد ساعدتها في ذلك مجموعة من العوامل طبيعية، واقتصادية، وسياسية ...إلخ.

1. عامل جغرافي:

فإن اختلاف التضاريس الطبيعية والاحوال المناخية في بلاد المغرب الاوسط اقتضى وجود اختلاف في الانتاج الزراعي والصناعي بين منطقة وأخرى إذ تشتهر كل ناحية بسلعة أكثر من غيرها فهذه بالتمر وتلك الفواكه وأخرى بالحبوب وغيرها بالمرجان والسمك، وهذا التباين عاملا في سريلان البضائع من الاماكن ذات الوفرة والانتاج والفائض إلى الاماكن التي تعاني نقصا وحاجة إليها [3]، كما لعب الموقع الجغرافي للمغرب الاوسط بين شمال وجنوب وشرق وغرب إلى تنوع في شبكة المواصلات الذي يربطه بين أنحائه المختلفة وتربطه بالعالم الخارجي أيضا[4].

2. العامل السياسي:

[1] .سورة النساء: الاية 29.

[2] . ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق ، ص447.

[3] . جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 126 .

[4] . بورويبة رشيد: المرجع السابق، ص 139.

خلال الحكم الفاطمي لبلاد المغرب الاوسط في القرن 4 هـ- 10 م عرف النشاط التجاري لبلاد المغرب الاوسط تطورا ملحوظا وذلك راجع إلى اعتناء الدولة الفاطمية بتنظيمه باعتباره موردا أثريا لنظام الجباية ولجمع الثروات وتوفر العملة النقديةالذهبية التي تساهم في ازدهار التجارة الكبرى والخصوص في تجمعها بأندى فئات التجارة في المراكز التجارية النشطة [1].

والجدير بالذكر أن الائمة الفاطميين شاركوا بأنفسهم في التجارة وأشغلوها في خدمة مصالحهم الخاصة وفي هذا الصدد يذكر جودت عبد الكريم نقال عن الجوذري: (أن المنصور الفاطمي صرح بممارسته التجارة في الحلال الطيب)[2]، كما عمل الائمة الفاطميين بإنشاء الاسواق ورتبوها تحت إشراف رجال البيت الفاطمي، حتى كان لكل خليفة أو أمير من القصر وكيل يتاجر بجزء من أمواله"[3]"، إضافة إلى العامل المهم والاهم الذي شهدته بلاد المغرب الاوسط في حكم الفاطميين وهو سيطرة الدولة الفاطمية على المناطق الداخلية الحساسة كسيطرتها على تاهرت الطريق التجاري إلى تلمسان"[4]"، وسيطرته على طريق سجلماسة على طريق السودان وبالتالي التحكم في طريق الذهب والسيطرة على التجارة المغربية وجمع الثروة لغزو مصر، وهذا يعني ثراء الدولة الفاطمية بمخازن الذهب ويظهر ذلك في الاموال التي حملها الفاطميون معهم عند رحيلهم إلى مصر والتي أسهم تجار المغرب الاوسط في جلبها إلى جانب تجار والية إفريقية[5] .

أما في القرن الخامس هجري فلقد تغيرت الظروف السياسية بذهاب الفاطميين وترك الصنهاجيين مكانهم في حكم المغرب الاوسط، ولقد عرفت التجارة في عهد بني حماد تطورا كبيرا ويرجع ذلك لسياسة المسالمة والود التي سلكها ملوك الحمادية خاصة في عهد الناصر بن علناس سواء مع العرب أو المسيحيين والموقع الذي يتمتعون به والشاطئ الطويل على البحر وعهد الابيض المتوسطالاسواق والاتصالات التجارية التي بسطوا فيها خاصة بعد الاستقرار

---

[1] . الحبيب الجنحاني: المصدر السابق، ص 229.

[2] .جودت عبد الكريم ،المرجع السابق ، ص126.

[3] .نفسه ، ص126.

[4] .حساني مختاري : الصراع بين الامويين والفاطميين على السيادة في المغرب الاسلامي خلال القرن 10م /4هـ ،رسالة لنيل ديبلوم الدراسات المعلقة ، معهد العلوم الاجتماعية ، دائرة الدراسات التاريخية والاثار ، جامعة الجزائر ، 1977.1978، ص102.

[5] .جودت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص224.

فيبجاية "[1]"، كذلك فإن الدولة الحمادية أبدت إهتماماباالمحافظة على الأمنوالاستقرار وتوفير أسباب الراحة والاستقراررللاهالي من خلال التحصينات العسكرية المتنوعة وتسهر على حراسة الاسواق والمدن و القالع والحصون وأبواب العاصمة وتأمين الطرق والمواصلات الداخلية وحماية الموانئ والسهر على راحة التجار وتوفيرالأمن في الفنادق التي ينزلون بها [2]، هذا إلى جانب مساهمة قبائل بني هلال التي لم تقطع مواصلاتها مع الدولة الحمادية بل سهلت تنظيم القوافل وحماية الطرق الصحراوية مع بلاد السودان وما بين وصول البضائع والسلع وجباية الاموال والضرائب وتوفير أماكن الاستقرار في هذه الطرق الطويلةوبالتالي تنشيط الحركة التجارية بين مدن المغرب الاوسط وما يجعل التجار ينتقلون بحرية تامة وتفعيل حركة البيع والشراء وتبادل السلع في كل من قلعة بني حماد وبجاية إضافة إلى تشييد موانئ في كل من مدن بجاية والجزائر، وشرشال وتنس، وجيجل والقل وعنابة ...إلخ"[3]."

وهذا ما تظهره لنا كتب الرحلة والجغرافيا على النشاط التجاري الداخلي الذي شهدته مختلف مدن المغرب الأوسط دون تحديد وجهة المواد المصدرة أو المستوردة وإنما اكتفوا بذكر أنواعها، فكان بسوق إبراهيم (... فواكه وتين يجهز عنها ...) وبمدينة بونة العسل والخير ما يزيد عنها، وبها معادن الحديد الذي يحمل منها إلى الاقطار المجاورة لها، أما بمرسى الخرز فكان يجذب إليها محاصيل زراعية وفواكه وغيرها، لانها كانت قليلة الزرع، ويرجع ذلك ربما انشغال أهلها بصيد المرجان، أما مرسى الدجاج فتحمل منه المواشي والقمح والفواكه والمآكل إلى ما جاورها من المدن "[4]"، ويحمل التين منها على أشكال شرائح طوب إلى سائر المدن والامصار"[5]" ، وكانت مدينة قزرونة هي الأخرى يحمل منها الكتان لأنها كانت أكثر البلاد إنتاجا له "[6]"، وكان وكان سمك المسيلة يصطاد ويحمل إلى قلعة بني حماد وكذلك السمن والعسل بجزائر بني مزغناي كان يحملان إلى سائر البلدان المجاورة، وكان الزيت البالغ الجودة والقطران يجلب إلى

[1] .عويس عبد الحليم ، المرجع السابق ، ص226.

[2] .الغنيمي مقلد عبد الفتاح ، المرجع السابق ، ص358.

[3] .مبارك ميلي ، المرجع السابق ، ص62.

[4] .ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص77.

[5] .الادريسي، المصدر السابق ، 256.

[6] .البكري ، المصدر السابق ، ص247.

بجاية من سائر أقاليمها المحيطة بها "[1]"، والفواكه كالعنب تحمل من جيجل إلى بجاية كما كان معدن الشب يأخذ من ورقلة إلى جميع البلدان، والجوز يحمل من نقاوس بني حماد وبجاية وغيرها "[2]."

أما بالنسبة للسياسة الحمادية في مجال التجارة، فلقد سعت الدولة الحمادية لحماية التجارة فلقد ساهم ملوك الدولة الحماديين خاصة في عهد الناصر بن علناس سواء مع العرب أو مع المسيحيين والموقع الذي يتمتعون به والشاطئ الطويل على البحر الابيض المتوسط والاسواق والاتصالات التجارية التي بسطوا فيها خاصة بعد الاستقرار في بجاية ، كذلك فإن الدولة الحمادية أبدت اهتماما الراحةً بالمحافظة على الامنوالامان وتوفير أسباب الاستقرار الاهالي من خلال التحصينات العسكرية المتنوعة وتسهر على حراسة الاسواق والمدن والقالع والحصون وأبواب العاصمة وتأمين الامن في الفنادق التي ينزلون بها"[3]".

ومنه يظهر التباين بين الريف والمدينة تزداد التجارة حيوية حيث نجد المجتمع الريفي قد اختص بالانتاج الغذائي في حين اختص مجتمع المدينة بالانتاج الحرف "[4]".

[1] .الادريسي ، المصدر السابق ، ص254.

[2] .مجهول: الاستبصار، ص128.

[3] .الغنيمي مقلد عبد الفتاح ، المصدر السابق ،ج4،ص358.

[4] .جودت عبد الكريم ،المرجع السابق ،ص128.

الفصل الثالث

تطور النشاط الصناعي وتأثيره على الحياة الاجتماعية

المبحث الأول: المستوى المعيشي

1. الدولة الرستمية:

ان لكل مجتمع نمط وأسلوب خاص به في معيشته حسب حضارته وثقافته وأساليب تقاليده، فأفراد المجتمع الرستمي لهم مميزات خاصة ومظاهر اجتماعية تميزهم عن المجتمعات الأخرى فعرفت الدولة الرستمية ازدهارا خلال تاريخها الطويل رغم بعض الفتن التي هزت المناطق منها فكانت نتيجة هذا الازدهار رقي مستوى المعيشي للدولة والذي يترتب عليه تحولات جذرية ونسيجه وظهور الطبقية من أغنياء وفقرا وتحول إعداد من البدو إلى المدن وسكانهم بها ودخولهم شريحة الحاضرين[1].

فكانت بداية الدولة الرستمية بسيطة وهذا لما ذكره ابن الصغير في شان الإمام عبد الرحمن وبساطة عيشه وطعامه ولباسه وإصلاح [2].

وما لبثت هاته الحياة تستقر حتى حلت مكانها حياة الرخاء والأمن ويعرفها الأستاذ إبراهيم بحاز بأنها الفترة التي تفصل ما بين المساعدة المشرقية الأولى والتي انتعش بيها الفقير وحسنت أحوال الناس في البلاد وبين المساعدة الثانية التي رفضها المجتمع لبلوغ مستوى معيشيا مقبولا يشهد عليه ما وجدته رسل المشرق من تطورات وتغيرات لم يشاهدوها في زيارتهم الأولى[3]

ويشير ابن الصغير لتلك التطورات التي شهدتها تيهرت ضمن ثلاث سنوات من مجي ء المساعدة الأولى إلي الثانية والتي شهدها الوفد فيقول ابن الصغير: "فوجدوا الأمور تبدلت وأحوال المدينة والأشياء قد حالت وذلك أنهم نظروا إلي قصور قد بنيت والي بساتين قد غرست والى ارحاء قد نصبت والي خيول قد ركبت والى حفدة قد اتخذت السور والعبيد والخدام قد كثرت [4]،وكان هذا النمو الاقتصادي لدولة الرستمية المشجع الأول للنمو الاجتماعي فشهدت تدفقا كبير من المهاجرين إليها كما كانت سياسية وسيرة عبد الرحمن في إسباغ العدالة وإقرار

---

[1].إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية ،المرجع السابق ص301.

[2]ابن الصغير ن المصدر السابق ،ص29-30.

[3] إبراهيم بحاز، المرجع السابق ص302.

[4].ابن الصغير ،المصدر السابق ص32.33.

الأمن دون تميز بين المواطنين الأصلين والغرباء عاملا هاما أخر في توالى الهجرات " [1]"، وهذا ما أشار إليه ابن الصغير :' فأتتهم الوفود والرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأخطار، فلم يكن احد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم لما يرا من رخاء البدن وحسن سيرة إيمانه وعدله بين رعيته وأمانيه على نفسه وماله[2].

واستمر هذا النمو في زمن الإمام الثاني عبد الوهاب بن عبد الرحمان وبمنظار العسكري وذلك لتوطيد أركان دولته والطموح لتوسع الخارجي [3]، ومما يدل على رخاء البلد في عهده وسعة الرزق انه لما انتقل إلي جبل نفوسة يريد الحج استقر في دار احد النفوسين فوجدها كما تقول المصادر الاباضية دار ذو نعمة وبسيطة وسعة رزق ، فخلع صاحبها على الإمام والوفد والمرافق له ثيابا جديدا وفرش لهم فرشا وفيرة واحضر لهم أطعمة حفيلة واظهر لهم من صنوف البر ما استحسنه الإمام غاية الاستحسان فهذه الرواية تصور لنا مستوى المعيشي الذي يلفه آهل جبل نفوسة وهم المشهود لهم بالزهد في الدنيا والتخلي عن نعيمها لا تدل إلا على وجود مثل ذلك في جميع البلاد [4] وقد بلغ ازدهار ذروته في أيام الإمام الثالث افلح بن عبد الوهاب وفي مدة حكمه الطويل الذي امتد خمسين سنة (180هـ-796م) (230هـ-844م)

انتقلت الدولة الرستمية الى دور التضخم العمراني من كل النواحي فهي مركز زراعي هام وملتقي تجاري ذو شان ومركز علمي وذات وزن سياسي مستمر ولقد ازدادت الأموال في أيدي الناس وتنافسوا في العمران وبلغت المدينة أقصى درجات الاتساع والامتداد والى جانب الأحياء الأصلية التي استوطنها القبائل وشارك فيها بعض المهاجرين الأوائل يمكن ان نميز الناظر فيها

[1].إحسان عباس: المجتمع التيهرتي في عهد الرستمين، مجلة الأصالة، عدد 41مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر،1379هـ-1977م ،ص24.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق ص31-32.

[3].أبو زكرياء يحيا بن أبي بكر :سير الأئمة وإخبارهم، تح إسماعيل العربي المكتبة الوطنية الجزائر 1399هـ-1979م ص73

[4]. إبراهيم بحاز، المرجع السابق ص304.

في زمن الإمام أفلح ثلاث وحدات جديدة منها حي الأجناد المهاجرين بكثرة من افريقية والعدوة عبر نهر ميناء التي بنتها نفوسة ومنطقة القصور والضياع[1].

ومن مظاهر الرخاء الاجتماعي والاقتصادي في عهد الإمام افلح وارتفاع مستوى المعيشة في الدولة وآنا الإمام احدث نظاما لإطعام الفقراء في أيام المعلومات كانت تعرف بأيام الجفان فكان هذا النظام الخاص للفقراء مستمر من عهد الإمام عبد الرحمن إلا أنهما يختلفا في كيفية تطبيقه فكان الإمام الأول حينما قبل المساعدات الأولى من وفد البصرة لأول مرة وزع ثلثها على المستحقين من فقراء وضعفاء ونظم جمع الصدقات فكان ما يتحصل منها كل عام من الشاة والجماب يباع ثم يحصى الإمام من في البدو وحوله ويعرف عدد الفقراء والمساكين فإذا علم عددهم أمر بإحصاء ما في الأهراء من الطعام ثم يأمر بجمع ما بقي من مال الصدقة بعد ان يدفع الى العمال مرتباتهم فيشتري منه أكسية صوفا وجباية صوفا وفراء وزيتا ثم يدفع في كل أهل بيت بقدر ذلك [2]، ونجد ذلك الازدهار ايضا في عهد الإمام افلح يتمثل في حديث ابن الصغير عن الإمام افلح وازدهار دولته حيث قال "وعمرت معه الدنيا وكثرة الأموال والمستغلات واتته الوفود من كل الأمصار والأفاق بأنواع التجارات وتنافس الناس في البنيان حتى ابتني الناس القصور والضياع خارج المدينة واجر الأنهار... وانتشرت القبائل وعمرت العمائر وكثرت الموال بأيديهم وكانت العجم قد ابتنت القصور ونفوسة قد ابتنت العدوة والجند القادمون من افريقية قد بنت المدينة العامرة اليوم وأمنت الساحات وكثرة الأموال حتي أطغت أهل الحواجز والبوادي[3].

وقد أشار ابن الصغير على ان الازدهار والنمو الاقتصادي لم يقتصر على أهل المدن والحواضر فحسب بل امتد الى تلك القبائل التي كانت منتشرة حول المدينة، فكان هذا النمو نقوس خطر يذق في كيان الدولة واعتزاز عرشها وهذا ما أخاف إمامها افلح إذا اتخذ موقفا

[1].إحسان عباس، المرجع السابق،ص24.

[2].ابن الصغير ، المصدر السابق،ص36.

[3].ابن الصغير ،المصدر السابق ،ص54.

حاسما فارش بين كل قبيلتين متجاورتين وهذا ما وضحه ابن الصغير قائلا " وكانت القبائل منتشرة حول مدينة تيهرت لما اكتسبت الأموال واتخذت العبيد والخيول قد نالها من الكبر ما نال أهل المدينة حتى خاف افلح ان تجتمع الأيدي عليه فتزيل ملكه فلما رأى ذلك ارش مابين كل قبيلة ومجاورها [1].

اما عن حالة جبل نفوسة حيث المشايخ والشورات من الاباضية فانه هو الأخر قد إصابته النعم في ضل الرستمين واشتغل سكانه بالدنيا التي أقبلت عليهم رغم تحفظهم الشديد ويقول بذلك احد المشايخ بأسف شديد "قد أدركنا الناس الذين محادثتهم ذكر الله تعالى زيارتهم في الله ومعانقتهم في الله ومحبتهم في الله، وبقينا حتي أدركنا أناس محادثتهم ذكر الدنيا وزيارتهم لتقاضي الحوائج ومعانقتهم نطاح[2].

2. الدولة الحمادية:

يوصف المجتمع الحمادي انه مجتمع ريفي وفي غالبيته، وأن اقتصاده قائم على اقتصاد الأسرة بعيدا عن الورشات والمصانع المتخصصة وأنا الحرف في معظمها قائمة على اقتصاد الأسرة، وكانت الأسر تشتري حاجيتها من الأسواق الشعبية الأسبوع [3] وقد اهتم الناس بالنشاط ألفلاحي خاصة وبدرجة اقل بالتجارة والحرف، حتى يوفروا لأنفسهم مصادر مختلفة من الرزق وقدر اكبر من الرفاهية وأصبح من المتعارف عليه من الناس ان خير الدنيا وسعت الرزق فيها إنما يطلب من ثلاث اوجه هي التجارة، الزراعة، ال [4]" ولقد تأرجح حال المغرب الأوسط بين رفاهية العيش وشظفها، المتحكم في ذلك هو العيش في المدينة أو البادية في السلم أو الحرب، في توفر الأمطار أو الجفاف .

---

[1]. نفسه ،ص-54.

[2].الدرجيني (أبو العباس بن سعيد ح 670هـ-1272م): كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، حققه وقام بطبعه إبراهيم طلاي مطبعة الباحث، قسنطينة 1394هـ1974-م) المصدر السابق، ص305.

[3].إلياس حاج عيسى: الحياة الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي (398-547هـ/1107-1152م)، أطروحة دكتورة علوم في التاريخ الوسيط إشراف الأستاذ عبد العزيز لعرج .جامعة الجزائر2، ابو القسم سعد الله السنة 1438-1439هـ م 2017-2018م ص376.

[4].الدرجيني ، المصدر السابق ،ص305.

عاشت الأرياف في بعض الفترات من الرسوم والضرائب التي تفرضها السلطة على الأراضي ومنتجاتها فمن الموارد المعروفة المستخرجة من الأراضي الزراعية ضريبة العشر، لكن تبين أن المزارعون في بعض المناطق يعمرون جنات غباتهم بالمناصفة فيكون لهم النصف من تمرتها ولسلطان النصف، ثم يؤيدون العشر من النصف فكانوا بذلك في ضيق شديد، وكان كل واحد منهم يحتال فيما يتخلص به من ذلك قبل امتداد يد عامل السلطان ويطلق على اللذين يؤتون لحمل التمر لفظ "الخراصون" اللذين يخرصون التم [1]، قد تبدو هذه الحادثة تنطبق على مجال جغرافي وحاتي معين، لكن مصدر أخر يؤكد معناة عموم البوادي امام السياسة الجبائية التي يمثلها ولاة أمراء صنهاجة، حيث يقارن ابن عذارى بين المدينة والبادية فيصف سكان المدن أنهم في امن وعافية وأهل البادية فعذاب وغرام [2]، وقد سؤل الداودي عن هذه المغارم التي يساميها السلاطين خراجا فيجعلونها على قيمة الأرض وعدد الشجر وحتى على المياه السائحة، وبربط الأحداث يمكن اللإستدلال بأن التسلط الجبائي على الأرياف كان من ضمن النصائح التي وضعها المعز لدين الله الفاطمي، ليبلكين بن زيري بأن لا يرفع الجباية عن أهل البادية [3]. بل إن السياسة الجبائية القاسية كانت من بين المواضيع التي وصفها عبد المؤمن بن على في الرسالة التي بعثها إلى سكان قسنطينة سنة 1947هـ-1055م، ليقنعهم بلإلتفاف حول الدولة الجديدة قائلا لهم:"قد كان بهذه الأصار أهل الاختلاق والابتداع ماعلمتموه من القبلات والماكوس والمغارم وسائر تلك الأنواع، وكان الأشقياء من ولاتها يرون إيجابها وإلزامها شرعا يلتزمونه وواجبا يقدم[4]"،كل هذا يلخصه ابن خلدون فيما يلحق الفلاح من المغرم المفضي غلى التحكم واليد العاملة فيكون الغارم ذليلا بائسا تتناوله أيدي القهر والاستط[5]"،

[1].الدرجيني ،المصدر السابق ص521.

[2]. ابن عذازى: المصدر السابق، ج1،ص245.

[3].عبد الرحمن ابن خلدون ،العبر ،ص1631.

[4] . ابن خلدون ، المقدمة،ج2،ص62.

[5]. نفسه،ص62.

وبالمقابل تبدو الأوصاف العامة حول مدن وحواضر المغرب الأوسط من طرف البكري والإدريسي– وهما المعاصران للدولة الحمادية– أنها تمتاز برخاء معيشي في أوقات السلم خاصة فسهل الحضنة فمثلا كان يوفر الحنطا والشعير بالإضافة إلى أنواع أخرى من الحبوب والفواكه، ويؤكد الإدريسي ان الحنطة كانت تخزن بالقلعة لفترة عام وعامين ولا تفسد، كما ان الفواكه والأنعام يشتريها الإنسان القلعي بالثمن اليسير وهذا دلالة على الكثرة والوفرة، ووصفه ربما كان ينطبق على الحواضر الحمادية، إذا يقول" ولحومها كثيرة... وفلاحتهم إذا كثرت أغنت وإذا قلات كفت، فأهلها أبدى الدهر شباع وأحوالهم صال[1].

وعادة التخزين سمة بارزة في العصر الوسيط تمليه ضرورية توالى الحروب وقصر فترات الاستقرار السياسي، فكانت الحاجة دائمة غلى تخزين الضروري من الغذاء، فقد أشار إبراهيم على أخيه حماد حجاتهما لتخزين الطعام والملح، استعداد لحصار باديس على القلعة بعد انهزامهما في معركة شلف وهما المادتان التي وفرها حماد من مدينة دكمة بعد حملة تأديبية عقابية[2].

من القرائن التي تؤكد على المستوى المعيشي الحسن لكبريات مدن المغرب الأوسط هي مجموع الإيرادات التي تستخلصها الدولة، فمدينة بونه تقدم عشرون ألف دينار دون حساب جباية بيت المال[3] وجباية مدينة مرسى الخرز عشرة ألاف دينار[4].

وعرفت أسعار المنتجات الفلاحية في مدينة الغدير قرب المسيلة انخفاضا كبيرا من ذلك مثلا أن قنطار من العنب بيع بدره [5]"، كما كانت أحوال سكان واحات المغرب الأوسط حسنة في الغالب خاصة تلك التي تقع في طريق القوافل على غرار و أرجلان في الفترة الوسيطة أنها مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلا و نقارة

---

[1]. الإدريسي: المغرب العربي،المصدر السابق، ص117.

[2]. ابن عذارى: المصدر السابق،ج1، ص265.

[33]. البكري: المصدر السابق،ج2،ص717.

[4].نفسه، ص717.

[5]. إلياس حاج عيسى: المرجع السابق،ص379.

فيخرجون منها التبر ويضربونها في بلادهم باسمهم" [1]"، وربما كانت جماعة تتكون من خمسة وعشرون راكبا أو عشرين راكبا تحوز قرابة مئتين وخمسين مثقالا ذهبا تبرا[2]

عموما لقد اشتهر المغرب الأوسط حسب وصف احد مؤرخي القرن السادس هجري انه كثير الخصب والزرع ، كثير الغنم والماشية طيب المراعي ومنه تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لرخسها وطيب لحومها [3]، ولقد تبت صنهاجة تداول العملة منذ الدولة الفاطمية فقد قام زيري بضرب في مدينه الجديدة أثناء تبعيتها للحكم الفاطمي لكن المقايضة ضلت منتشرة بشكل واسع في ربوع المغرب الأوسط وظلت نسبة من السكان تتعامل بطرق قديمة بسيطة كالمقايضة فكان الناس يبيعون ويشترون بمقايضة الحيوانات كالبقرة والبعير والشات، واستمر نفس المبدأ بالنسبة للمواد الغذائية الرئيسة فقد أورد ابن قنفد حادثة في تلمسان خلال العهد الحمادي من ان رجالا اشتروا من امرأة متجولة لبنا في قربة أن يستبدلوه بشعير ولي تسهيل عملية تبادل المواد الغذائية بين الناس أفتى الفقهاء بجواز بيع الزيتون بالزيت والبر بالتمر وما أشبه ذلك[4].

وتداول الناس خلال العهد الحمادي الذهب والفضة وتعاملوا في البيع والشراء بإحدى المعديين مع بقاء أسلوب المقايضة قائما اما النار فكان يضرب بالذهب والدرهم بالفضة وهو ينقسم الى قراطين، وكانت القطع النقدية المتفرعة عن الدرهم تضرب بالنحاس وهي اقل قيمة [5]، وفي الجنوب الشرقي للمغرب الأوسط يرد مصطلح" دينار" في المصادر بكثرة كوسيلة للتعاملات المالية بين الأشخاص، لكن من دون ان تبين لنا هذه المصادر قيمة العملة ورغم تنوع الأمثلة فلا يمكن الجزم بتحديدها فقيمة الدينار في الأمثلة التي يوردها الدرجيني تبدو متباعدة

---

[1]. الإدريسي: المغرب العربي، المصدر السابق،ص160.

[2]. الدرجيني: المصدر السابق،ج2،ص502.

[3]. مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، الشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، دت ، ص179.

[4]. إلياس حاج عيسى: المرجع السابق،ص380.

[5]. إسماعيل العربي: دولة بن حماد ،ص220.

ومتناقضة وليسنا متأكدين ان كان بقصد دينارا واحدا فالأمثلة تتعلق بأماكن وأزمنة مختلفة تدخل ضمن المجال الجغرافي للجماعات الاباضي[1].

كما ورد مصطلح درهم أكثر من مرة في كتب التراجم دون تحديد قيمته فالدرجيني يتحدث عن فقيه اخرج من جيبه كيس فيه دراهم وقدمها لشخصين ويشتري بها خبزا لغذائهما من السوق وهذا شاهد على ان قيمة الدراهم منخفضة جدا بما ان بعض الدراهم هي لشراء الخبز لشخصين وأحيانا ترد في المصادر قيم غير منطقية عن العملات السائدة من ذلك ان مدينة الغدير قرب المسيلة قنطار العنب فيها بدرهم وهو مبلغ يبدو منخفضا جد[2]".

3. الدولة الزيانية :

يرتكز المستوى المعيشي في مجتمع بلاد المغرب، وكباقي المجتمعات على الوضعية الاقتصادية السائدة، فيتحسن أوقات الرخاء، ويتدنى في فترات الأزمات والمؤشر الأساس الذي يتحكم في ذلك المستوى هو قيمة الدخل والخرج، كما قال عبد الرحمن بن خلدون:" ومتى عظم الدخل ، عظم الخرج وبالعكس، ومتى عظم الدخل والخرج اتسعت أحوال الساكن ووسع المصر"[3]"، فالدولة الزيانية باعتبارها المتضرر الأكبر إذا ما قورنت بالدولتين المدينيةوالحفصية، يمكن اعتبار سنوات (707هـ-1307م/738هـ-1337م) هامة نظرا للاستقلال التام الذي عرفته، حيث كانت الخزينة تدخر الأموال، وكانت للدولة معاهدات اقتصادية مع دول متعددة ذلك ما أكسبها الثراء، وعاد بعميم النفع على الرعي[4].

ولمظهر من مظاهر تحسن المستوى المعيشي هو تجمع الثروات في أيدي فئات التجار المتخصصين في التجارة بعيدة المدى أو" بروز فئات اجتماعية ثرية متخصصة في التجارة الكبرى" ولاسيما في اتجاه بلاد السودان، مصدر بضاعتين ثمينتين من بضائع العصر: الذهب

---

[1]. إلياس حاج عيسي: المرجع السابق،ص 380.

[2]. إلياس حاج عيسي ،نفسه ،ص381.

[3].سكاكو حورية: التحولات الاقتصادية في بلاد المغرب بداية من القرن(6هـ حتى أواخر القرن 10هـ/12-16م)، أطروحة دكتوراه ، إشراف الأستاذ بودارية مبخوت جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان سنة 1438-1439هـ/2017-2018م،ص353.

[4]. نفسه ص357.

والرقيق، حيث كان لهذه الفئة من المجتمع أدوار معتبرة خلال مراحل الأزمات، وفي تطوير وتنشيط الحركة الاقتصادية داخل المدن خلال مراحل الانفتاح[1].

إن تزايد الحركة التجارية، ونشاطها ساهم بقسط وافر في خلق الطبقة الثرية داخل مجتمع بلاد المغرب، فمثلا وبعد تزايد النشاط التجاري بين جميع المدن المغربية والأندلس، إضافة إلى وفود تجار الأندلس، كما أدى صيد المرجان إلى ازدياد أهمية تنس، وصيد مرجان ال... أجمل جميع المرجان الموجود بسائر الأقطار والذي حمله التجار إلى جميع الجهات، مما أدى الى ثراء أهل مرسى ا...و أصبح ربحهم التجاري عشرة آلاف دينار سنويا، وهذا الأمر ينطبق على الكثير من المدن الساحلية والتي خلقت الثراء لممارسي النشاط التجاري فيها [2]، ومن التلمسانين الذين تحصلوا على ثروات ضخمة "أسرة المقريين"*، حيث كانوا يتمتعون بثقة ملك مالي، والذي يعاملهم كأصدقاء أعزاء وبحظوة عند سلطا تلمسان والذي كانوا يثرون عاصمته، ويملؤون خزينته بالرسوم التي يدفعونها، جاء ذلك كنتيجة للثروة الطائلة التي كونوها، إذ تذللت لهم المسالك، وزادت أموالهم [3] .

وفي الواقع شكل الإخوة المقريون همزة وصل بين سلاطين تلمسان وملوك بلاد السودان في الميدان التجاري، ويمكن القول أن هذه الشركة كانت بمستوى معايير شركة دولية، تمكنت من التحكم في التبادل الخارجي بين تلمسان والسودان الغربي، ولكن الاضطرابا ت السياسية

[1]. سكاكو حورية : المرجع السابق، نفسه ص357.

[2]. نفسه ص358.

*المقريين: أصلها من قرية مقرة، تعود أصولها إلى القبيلة العربية الشهيرة قريش، حيث نزحت هذه العائلة من الجزيرة العربية إلى بلاد المغرب، واستقرت برهة ببلدة مقرة ثم انتقل عبد الرحمن المقري الجد الخامس لأسرة قاصدا مدينة تلمسان حيث اشتهرت درية عبد الرحمن فيما بعد بالتجارة ، واتسعت أعمالهم فيها ينظر أبو العباس المقري رحلة المقري إلى المغرب والمشرق ، تح: محمد بن معمر، مكتبة الرشاد، الجزائر2004،ص5 من مقدمة التحقيق، أبو العباس المقري، نفح الطيب..ج5204 سكاكو حورية ص358.

[3].نفسه ص358.

والصراعات العسكرية حالت دون استمرارية حيوية الشركة وانعكست عليها سلبا وتراجع التبادل ليفتح المجال امام تجار مصر ومسلك السودان الشرقي[1].

ونشاطهم التجاري ساهم في تمهيد طريق الصحراء يحفر البار وتأمين التجار واتخذوا طبل الرحيل وراية التقدم عند المسير، حيث كان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع، ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر....حتي اتسعت أموالهم وارتفعت في الفخامة أحوالهم، وقد وفرت تلك التجارة لدول المغرب ومدته كل أسباب النمو والتطور الاقتصادي والاجتماعي، ما حقق تحسننا كبيرا في المستوى المعيشي وتحقيق الأمن الغذائي وتوفير رؤوس الأموال المتمثلة في قناطير الذهب الخالص والتبر وقوفل الرقيق الذين كانوا يشتغلون في الخدمات والأعمال الكبرى ما تعكس ايجابا على نمو وتطور الحرف على ظهور الصناعات المختلفة [2].

كما نجدر الإشارة الى عدم الاكتفاء التجار التلمسانين بصفة عامة بتصدير الموارد الزراعية والحرفية الى بلاد السودان الغربي إنما اهتموا ايضا بالكتب ونشر الإسلام بالمنطقة فساهموا في إيصال الثقافة العربية الإسلامية إلي الممالك السودانية حيث صدروا الكتب الفقهية والعلمية ومنهم الإخوة المقري أصحاب الشركة التجارية [3]بالإضافة الى ما سبق ذكره يمكن القول بان التزايد السكاني لخير دليل على ذلك الرخاء الذي كانت تعيشه البلاد أثناء فترات الاستقرار فمثلا خلال عظمة دولة الموحدين وبفضل الازدهار الاقتصادي تزايد التعداد السكاني في مدن بلاد المغرب وأيام حكم بني زيان تزايد تعداد سكان تلمسان بعد تناقصهم الكبير وعلى عهد السلطان أبي تشفين الأول حيث بلغ عدد الدور فيها ستة عشر ألاف دار مسكونة ، وساعد اخذ السلطان ابو حمو موسى الأول الرهائن وإسكانهم بالقصبة من تلمسان وسماحها لهم بالزواج على زيادة عدد السكان حيث وصل عدد السكان في المدينة خلال عهد آبي تشفين

[1].سكاكو حورية، المرجع السابق، ص358.

[2].سكاكو حورية ، المرجع السابق ،ص359.

[3]. نفسه ص359.

الأول ما يزيد عن مئة ألف شخص على اعتبار أنا معدل الأسرة الواحدة سبعة أفراد كما تزايد تعداد سكان مدينة تلمسان بعد تناقصهم الكبير على عهد السلطان آبي حمو موسى الثاني المتميز بالرخاء والاستقرار حيث وصل عدد البيوت المسكونة غلى ثلاثة عشر ألاف كانون أي دار[1].

المبحث الثاني: الحياة العامة

[1].سكاكو حورية، المرجع السابق ص359.

1. الدولة الفاطمية:

لقد ظلت العادات والتقاليد الاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي متأصلة وليدة التاريخ الطويل والظروف الإقليمية العميقة ، فنجد مجتمع المغرب الإسلامي وصفوا بالكرم وحرصوا عليه ويظهر ذلك من خلال ما ذكره القاضي النعمان أن حجاج كتامة الذين صاحبهم الشيعي أبو عبد الله أشتروا له شأت وهيئوا له طعاما ثم أتوه به فقال ما هذا؟ قالوا: هذا سنتنا في الضيف وأنت ضيف فينا وحينها هاجر بأتباعه من الكتاميين الى قبيلة بنو غشمان استضافه الغشمانيون فذبح كل واحد منهم شاة لضيفه واحتفل في بره وإكرامه كما وصف هذا المجتمع بأنهم كانوا اشد تمسكا برعاية حقوق اليتامى والمساكين والفقراء، وعرفوا بالشهامة والمروءة وتمسكهم بالدين حضي شيخ القبيلة باحترام جميع الناس له فهو أشبه سلطة قاضي البلاد فكانوا يلجئون إليه فكل المسائل حتى في مسألة الأحوال العائلية كالزواج ومجتمع المغرب الإسلامي من المجتمعات التي تخلو من بعض المظاهر الاجتماعية مثل الاعتقاد بفكرة ظهور المهدي المنتظر عرف مجتمع المغرب الإسلامي عادات وتقاليد كثيرة كالتنوع في الطعام واللباس وعادات أخرى مثل الاحتفالات التي كانوا يمارسونها .

الطعام واللباس:

1/الطعام:

أ/طعام الفئة الحاكمة: وقد اهتم الخلفاء الفاطميين اهتماما كبيرا بطعامهم وشرابهم والاهتمام بالجيد منه كما أنفقوا على مأدبهم العامة والخاصة بسخاء وبذخ، وقد تميزت مائدة الخليفة عبيدة الله المهدي بتنوع الأطعمة والفواكه ما يزيد عن حاجته ،وقد كان الخدم من حوله يأخذون ما أفضل من الطعام لبيعه في الأسواق أو ليتصدقوا على الفقراء والمساكين[1]،اما خادمته المكلفة بتحضير المائدة فكانت تجمع الخبز الباقي عليها وتدفعه لقوم موكلين بتسمسن حيوان لمائدة المهدي .

[1].محمد بن محمد اليمني ،سيرة الحاجب جعفر ،نشر وايفا نوف ،مجلس كلية الأدب ،الجامعة المصرية ،مج 4،ج1،القاهرة ،1936،ص159

ومن أشهر الأسماك التي كان يحرس عليها عبيدة الله المهدي سمك البوري حيث كان يأمر أعوانه بإحضار هذا النوع من باجة وفي ذلك أورد البكري:" حوت بوري ليس له في الأفاق نظير وكان يحمل الى عبيدة الله السمك في العسل فيحفظه حتى يصل طريا..." يبدو لنا ان رواية البكري كانت ذات قيمة اقتصادية يشير الى ان الفاطميين كانوا على دراية واسعة في حفظ الأغذية وتصبيرها فجعلوا العسل كمادة مصبرة للسمك إذ جلب هذا الأخير من مناطق بعيدة[1].

ففي بعض الأحيان كانت الطبقة الحاكمة يجلس على مائدة أو ما شبه عليها خروف مشوي وقد يصنعون بجانبه بعض الأطباق الأخرى والغريب في الامر ان الفاطميين كانوا لا يسلخون الأغنام [2]، وكما كانت موائد الفاطميين تضم أنواع كثيرة من اللحوم وكذا عمدوا على تزيينها بالفواكه والمشروبات ذات القيمة الغذائية مثل الليماري ذو النوعية الجيدة فكانوا يأمرون عمالهم بمنع بيع هذا النوع من التمر لأنه لم يكن في متناول عامة الناس وكذا لم تخلوا موائد الفاطميين من اطباق الحلويات الشهية بكل أنواعها [3] .

ب/طعام الطبقة العامة:

تفنن سكان المغرب في صنع أنواع كثيرة من الطعام وصارت موائدهم حافلة بالأطعمة والحلوى والاشربة وقد اختلفت طريقة صنعها، كما ان بعضها يعطينا صورة لمدلى الثراء والرفاهية التي كان يعيشها بعض أفراد المجتمع [4]، فكان اللحم بأنواعه يعتبر أساسيا لأغلبية سكان المغرب الإسلامي لان البلاد كان لديها مخزون هائل من الماشية والإبل والأبقار ما يزيد عن حاجة

---

[1].رفيق بوراس ، الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية (296-362هـ/908-972م)،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي ،قسم التاريخ والآثار ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة متنوري قسنطينة ،2007.2008 ص83

[2].المقديسي ،المصدر السابق ،ص338

[3].البكري ،المصدر السابق ،ص57

[4].حسن علي الحسن :الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين ،مكتبة الخنانجي ،ط1 ،1980،ص432.

السكان وقد أورد ابن حوقل في قوله :"ولهم الخيل النفي البراذين الفره والإبل والغنم وما لديهم من ماشية البقر وجميع الحيوانات الرخيصة [1].

وقد ذكر الدباغ :طعام عائلة أنها فقيرة فأشار الى قول رب العائلة بخصوص طعامهم من الجمعة الى الجمعة اشتري رطل لحم نطبخ عظامه في ليلة وشرائحه في ليلة ثم نأكل في الليلة الثالثة حريرة وفي الليلة الرابعة سلقا وحمصا وفي الليلة الخامسة سلقا واسفنارية وفي الليلة السادسة سلقا وفولا وفي الليلة السابعة لحما وكانوا يضيفون التوابل الى طعامهم ليضفي عليه نكهة أفضل [2] والى جانب الطعام احتوت الموائد ايضا على كل أصناف الثمار والفاكهة اللذيذة والمتمثلة في اطباق التين والتمر والخوخ والمشمش والسفرجل والرمان والعنب وأيضا الفاكهة التي تدعى بالكثمري والتي يبدو ان أهالي مدينة طرابلس اعتادوا على تناولها مثل وبخاصة ان إنتاجها غزير [3]،تميز سكان بلاد المغرب الإسلامي في تحضير أشهر اطباق الحلويات ويسمى هذا الطبق الفالوذج فكانوا يقدمونه في مناسبات كثيرة وكذا في رمضان وتعطى لصائم قبل إفطاره .

2/اللباس:

اهتم الفاطميون باللباس كثيرا وكما تفننوا فيه وذلك للقيم الثقافية والحضارية التي يتضمنها والتي كانت تمثل أصالة المجتمع الفاطمي وتقاليده واختلفت الألبسة الفاطميين باختلاف مراتبهم حيث لم تكن موجودة عند كل أفراد المجتمع وذلك لاختلاف الطبقات الاجتماعية اضافة الى ظروف العمل والمواسم ...الخ،وهي متنوعة من الثياب الحريرية الى القطنية والكتانية والصوفية.

أ/عند أهل الحكم:

[1].ابن حوقل ،المصدر السابق ،ص95.

[2].الدباغ ابو زيد عبد الرحمان بن محمد القيرواني :معالم الإمام في معرفة أهل القيرواني ،تحقيق محمد الأحمدي ومحمد ماضور ،مكتبة الخانجي بمصر ،الناشر المكتبة العتيقة بتونس دت ،ص311.

[3].رفيق بوراس ،المرجع السابق ، ص85.

تشابهت ثياب الخلفاء والوزراء والأمراء وكانت تكون واحدة باستثناء مكانة منها خاصا بالمواكب حيث حاولوا الظهور امام الرعية بمظهر العظمة والإجلال ،لذا اعتنوا بالباس واشتهروا بالبذخ فيه وهو ما افرز نوعا من التباين الطبقي والاجتماعي حيث اختص الخلفاء بلبس الثياب المحلاة بالذهب والجوهر كما لبسوا المبطنات [1] ،والاقمصة والسراويل والجباب [2]،وكانوا يجلبونها من أقاليم بعيدة من مرو [3]، وأرمينية، واشتهرت بلبس ألوان البراقة" كالقلموني" الذي يتلألأ إذا انكسرت عليه أشعة الشمس، والقرقبي الذي اشتهر بألوانه اللامعة والتي تتغير إذا انعكست عليها أشعة الشمس ايضا والديبيقي المواشي والعمائم الشرب المذهبية، كما اشتهروا ايضا بالثياب النصفية المصنوعة من الحرير والقطن، والدراعة المشقوقة الصدر حتى الوسط والمزررة بازار فحينها طلب جوذر الصقلبي من الخليفة المعز إهدائه من ثياب الأئمة الفاطميين– تبركا بهم–، فأرسل إليه هذا الأخير أثوابا شتى شملت ..." مبطنة مروى وقميصا من تحتها... [4]، واتخذوا العمائم على رؤوسهم وكانت هي الأخرى موشاة بالذهب [5]، وغالبا ما تكون من خنس الثوب الملبوس مادة ولونا، حفاظا على تناسق الألوان حسب ما أشار إليه ابن عذارى[6]، أو ربما استبدلوا العمائم بقلانس [7].

---

[1].محمد الحسن العيدروس : دول المغرب العربي في عصر الدولة الفاطمية ، دار الكتاب الحديث ،القاهرة ،ط1 ،2001،ص221.

[2].ابن منظور ،(محمد بن مكرم علي الأنصاري)(ت711ه/1311ه) :لسان العرب المحيط،الدار المصرية للتأليف والترجمة ،طبعة حديثة عن طريق بولاق ،دت،ص249.

[3].زكرياء بن أحمد بن محمود القز ويني : أثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت لطباعة والنشر بيروت1979،ص230–231.

[4].إدريس عماد الدين الداعي: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، نشر محمد اليعلاوي، ج5،ص248.

[5]. نفسه ، ص248.

[6].ابن عذارى: المصدر السابق،ص158.

[7].أبو عبد الله بن على الصنهاجي ابن حماد: أخبار ملوك بن عبيد وسترتهم، مطبعة حول كاربونيل ، الجزائر، 1935،ص64، انظر أبو محمد أبي قاسم الرعيني ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تح محمد الشمام، المكتبة العتيقة، تونس1967،ص55.

كما كان الخلفاء يحبذون ارتداء الثياب الديبيقية [1] الفاخرة غالية الثمن، وكان عبيد الله المهدي أول من اتخذ هذا النوع من الثياب ، إذا أراد الخليفة الظهور بمظاهر الخليفة المتواضع اكتفى بثوب بسيط كالذي تلبسه العامة، وهذا ما قام به المعز لدين الله امام شيوخ كتامة حين استدعاهم الى مجلسه بالمنصورية حيث وجدوه متربعا وعليه"جبة" فقال لهم: "رأيت أن أنفذ إليكم، أحضركم لتشاهدوا حالي، إذا خلوت دونكم احتججت عنكم واني لا أفضلكم لأحوالكم إلا فيما لابد لي منه في دنياكم... [2]، وبالإضافة الى تأنق الخلفاء في الألبسة البراقة والمذهبة أو المفضضةوالموشاة كانت تعلوا جبين الخليفة الجواهر الثمينة، حيث ظهر الخليفة المعز لدين الله لناس بعد احتجاجه وقد دبس الحرير الأخضر وجعل الجواهر تلمع كالكواكب[3].

وقد دلت الألوان في ثياب الخلفاء على عدة مظاهر، حيث كان اللون الأحمر الداكن المائل للون الدم القاني لدلالة على حالة الغضب وعدم الاستقرار، يظهر ذلك جاليا عندما اتخذ المنصور بالله هذا اللون على ثوبه حينما خرج محاربا لأبي يزيد اليفرني [4]، اما اللون الأصفر فكان يدل على الاستشراق بالبصر فقد أورد الداعي إدريس كلاما للمنصور بالله يقول فيه لأصحابه:"...ان البس في اليوم الذي اخذ فيه أبا يزيد ثيابا مصفرة، فذا رأيتموني لبستها فثقوا بالنصر والفتح إن شاءا لله ..."وقد خصص الخلفاء كسوة خاصة بشهر رمضان وجمعيته وهي ما تعرف باللباس الجمعي فتميزت في الجمعة الأولى في رمضان بي طلسان شرب مفرط وعمامة قصب بياض مذهبة وثياب ديبقي بياض، اما الجمعة الثانية فتميزت برداء بياض محشى قصبا وذهبا بياض ديبيقي وثوب مصمط وعمامة مذهبة وكان ذلك في عام (415هـ-1023م)، اما في عام (516هـ-1122م) في عهد الخليفة الآمر اشتهرت بدله كبيرة مكبية

[1] رفيق بوراس: المرجع السابق، ص90.

[2] . المقريزي: المصدر السابق،ص95.

[3] .العيدروس: المرجع السابق،ص222.

[4] .نفسه ،ص223.

مكملة مذهبة من رمضان، وبدله منديلها وطلسانها شهري لصلاة الجمعة الثانية كما كان إخوة الخليفة والوزير خلع تصرف لهم كذلك في غرة رمضان وجمعيته[1].

كما كان للخليفة بدله خاصة جليلة مذهبة برسم الموطب في العيدين ونصف بدله للجلوس على السماط وبدله حمراء يرتديها الخليفة عند دخوله المنحر في عيد النحر، كما كان الخليفة يرتدي منديلا خاصا في الأعياد والمواسم وهو العمامة بالشدة العربية المعروفة بشدة الوقار وكان لها ترتيب لا يعرفه احد ويكون لون المنديل من لون ثياب الخليفة اما في غير المناسبات يرتدي الخليفة منديلا بالشدة الدانية غير العربية واشتهر الخليفة بلباس ثوب خاص يعرف بالبدنة يصنع بدار الطرز حيث ينسج من الذهب بصناعة محكمة لا تحتاج إلي تفصيل وخياطة وتبلغ قيمتها ألف دينار وكان يرتديه عند جلوسه على سرير الملك في قاعة الذهب وقد وصف السرير بالذهب الإبريز الخالص والمرصع بألف وخمس مئة وستين قطعة جوهر من مختلف الاشكال والألوان ووصف كذلك بأنه عبارة عن عرش مرصع بأثمن الجواهر والأحجار الكريمة[2].

ب- لباس العامة:

إن سكان المغرب الإسلامي عموما غلب على لباسهم كل ماهو محلى الصنع فلبسوا البرانس وهو لباس يتخذ عادة من الصوف ويستعمل شتاء وقاية من المطر أو البرد القارص [3]، ويقول المقديسي: "ان عامة السكان من البربر وهم اللذين عبر عنهم بالسوقة كانوا يلبسون المناديل والمنديل هو لباس صوفي يغطي الرأس ويتدلى على الكتفين والظهر [4] وقد يدل لبسه على

[1].رفيق بوراس: المرجع السابق، ص89.

[2]. العيدروس: المرجع السابق، ص229.

[3].ابن خلدون: المصدر السابق،ج4،ص118.

[4]. المقديسي: المصدر السابق، ص46، أنظر أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي رياض النفوس في طبقات علماء القيروان والإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، حققه بشير البكوش ورجعه العروسي المطوي دار الغرب الإسلامي ، لبنان ج2،ط2، 1994 ص53.

*الدرعة: هي نوع من الثياب تشبه الجبة مشقوقة من الإمام وغالبا ما تكون من الصوف، انظر عبد المنعم عبد الحميد سلطان،ص344.

تعظيم مكانة صاحبه الاجتماعية كما لبس بعضهم العمامة أو القلنسوة والدراعة *أحيانا والجبة أحيانا أخرى والقميص والقباء والسراويل والنعال بأرجلهم وكان المعز لدين الله نفسه يلبس على رأسه قلنسوة حمراء وغالبية هذه الألبسة من القطن أو الكتان و الصوف ونادرا ما تكون من الحرير الغالي الثمن[1].كما نجد بعضهم يلبس الجلبة الصوفية أو الحريرية غير ان لبس الحرير عموما كان غير مرغوب لدى بعض الفئات الاجتماعية فقد ورد عن ابن خلدون :ان أصحاب أبي يزيد قد نقموا عليه اتخاذ الحرير في لباسه وقد رأوا في ذلك خروجا عن عداتهم وما تعرفوا عليه[2] ويبدوا ان أبي يزيد اتخذ مثل هذا اللباس الحريري الفاخر ،بعد ان تحسن أحواله المادية ذلك انه قبل على حال من الخصاصة والفقر ،اما عن لباس نساء العامة فكن يرتدين على رؤوسهن الغصائب كما كان لبس السروال والغلالة منتشرا في ذلك الوقت فكان بعد خروجها عن الآداب ومنافيا لتقاليد المجتمع الفاطمي الذي يحتجب وجه المرأة أثناء وجودها خارج دارها[3].

حيث كان المحتسب يمنع النساء من ارتداء الملابس الخليعة وكذا الخفاف الذي يلفت أنظار الرجال،كان لباس سكان المغرب الإسلامي في عهد الفاطميين بالبساطة وعدم التكلف بدليل ان أبا عبد الله الشيعي قد أعاب على الخليفة عبيد الله المهدي سياسة العامة تجاه كتامة،لا سيما في مسالة اللباس والزينة حينما أمرهم بالتجمل واتخاذ الحلي واعتبر الداعي ان هذه الخطوة فساد لهم وخروجا عن عاداتهم وان كان الامر يختص بكتامة وحدها فيمكن ان يشمل كافة أهالي المغرب الإسلامي [4].

[1]. ابن خلدون: كتاب العير،ج4، ص113.

[2].نفسه ،ص13.

[3].ياقوت الحموي ،المصدر السابق ،ص97.

[4].قاضي النعمان ،الافتتاح ص308.

2. الدولة الحمادية:

أ /الطبقات والأجناس:

كان المجتمع الحمادي مجتمع مفتوحا يهضم في جسمه نماذج مختلفة الجنس والفكر وبصرف النظر عن ان هذه الحقيقة تكاد تكون سمة عامة في المجتمعات الإسلامية في هذه القرون فإنها كانت سمة بارزة على نحو خاص بالنسبة للدولة الحمادية فطبيعة سياستها وموقعها في المغرب العربي والملامات التي ألمت بالمغرب والأندلس في القرنين الخامس والسادس للهجرة كل هذا ساعد على ان يكون المجتمع الحمادي مفتوحا على نحو بارز والذي لا شك فيه ان صنهاجة– لاسيما صنهاجة الحمادية– كانت تقف في قمة الهرم الاجتماعي في الدولة وإذا علمنا ان صنهاجة إنما تشكل شعبا كبيرا وليست مجرد جماعة حاكمة تؤكد لدينا ان هذه الميزة تنحصر في الطائفة الحاكمة إذا من الصعب تحويل طبقة كبيرة كصنهاجة الى طبقة ممتازة وان كان من الطبيعي ان تكون كثير من المراكز ذات الأهمية بأيديهم نتيجة انتهائهم الأكثر ولاء للدولة التي تحمل اسمهم و تدافع عن سيطرتهم على هذه البقعة من الأرض إننا نستطيع القول بان صنهاجة الحمادية كانت تحتل المكان الذي تحتله بعض الأسر الكبيرة التي مارست الحكم ، كأمويين والعباسيين والمرابطين، وإذا كان من الطبيعي ان يكون من هذه الأسر ان يمارسون أعمال يمارسها كثير من طبقات الشعب فالذي لاشك فيه ان الشعور بالفوقية يسود هذه الأسر يدعمه النفوذ السياسي والاجتماعي الذي تتمتع به[1].

على ان طبقات مختلفة من القبائل البربرية المتعددة كانت تعيش في حماية الدولة الحمادية وفي ظل النظام الذي تمتعت به الدولة أخذت هذه الطبقات تتعارف وتمتزج على تنوع أجناسها من الغرب إلى الشرق ومن الشمال الى الجنوب ... فاختلطت صنهاجة بكتامة وامتما بزناتة[2].

[1]. عبد الحليم عويس: دولة بن حماد مكتبة الإسكندرية ط21411هـ –1991م ، ص235.

[2]. عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر ، نشر مكتبة العرب بتونس 1925ص286.

ويحدثا صاحب الاستبصار عن وجود عديد من القبائل البربرية تعيش في المدن الحمادية الكبرى مثل عجيسةوهوازة وبني ترزال في المسيلة وقبائل بربرية أخري كثيرة في جيجل[1].

ولعل هذا الاختلاط كان بتأثير القضاء النسبي على الصراع القبائلي في ظل قيام دولة المرابطين الجامعة ،وبتأثير زحف القبائل العربية الذي جعل البربر يشعرون بخطر جماعي وبالتالي خفت على المستوى الشعبي حدة الشعور القبلي، ومنذ النصف الثاني من القرن الخامس هجري وهناك عنصر بدأ يؤخذ مكانه بطريقة أكثر وضوحا ورسوخا في المجتمع الحمادي، وهو العنصر العربي ممثلا في قبائل بني هلال والتي كان لها النصيب الأكبر في ارض الدولة الحمادية وكان في هذا الزحف العربي أثره الكبير على الحياة الاجتماعية للعنصرين البربري والعربي وإذا كان من أهم النتائج التي اصفرت عنها الحملة الهلالية على الجزائر تغير اللسان البربري حيث أثرت لغة التخاطب العربية لقبائل بني هلال في اللسان البربري الذي كان من قبل طاغيا على اللسان العربي في الأرياف والمدن [2]. إذا كان هذا فن البديهي ان هذا التأثير الحضاري لم يكن ليتم إلا بالاحتكاك والاختلاط بكل الوسائل المعروفة بحيث أننا نستطيع القول بان العنصر العربي الممثل في القبائل الهلالية يشكل منذ دخوله الجزائر طبقة متميزة من طبقات المجتمع الحمادي لها نفسيا الثقافية والاجتماعية المتميزة من لغة وعادات وفكر ويعتبر دخول هؤلاء الهلالين فتحا اجتماعيا جنسيا نجح أصحابه ي فرض عادتهم وتقاليدهم ولغتهم على البربر بعد بضعة أجيال [3] وفي المجتمع الحمادي كانت هناك طوائف أخرى لاجئة إليه لجو الاستقرار الاندماج فعندما ضعف سلطان المسلمين في الأندلس وصقلية ومالطة وغيرهما من الأماكن التي تعرضت لعماليات إبادة وإزعاج من جانب الزحف الصليبي كان الحماديون هما الملجأ الذي يؤوي إليه هؤلاء ، وقد استقر الأندلسيون بسواحل كما رأينا في المعتصم بن صمادح حين احتار/تنس/ مقر لإقامته فان تنس في الحقيقة كانت مقرا

[1]. الاستبصار: المصدر السابق 172، ص-173.

[2]. عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر ، المرجع السابق،ص280.

[3]. عبد الحليم عويس: دولة بن حماد المرجع السابق،ص238.

لكثير من النازحين الاندلسين ولهم بها صلة كبيرة ولم تخل بجاية من العنصر الاسباني وانه احتل فيها مكانة مرموقة الى جانب البربر البجاويين ، لاسيما أهل مريوقة مما وترت دنياه أخراه [1]، وفي حقبة أخرى من هذا العنصر الذي نؤرخ له تفشت ظاهرة الرقيق بتأثير القرصنة التي تبادلها المسلمون والمسيحيون نتيجة الحروب الكثيرة القائمة بين الإسلام والنصرانية وكان العرب يصفون جميع الرقيق الجرماني والصقلي والسلافي بلفظة صقلي وربما جاءت هذه اللفظة من كلمة اسكلاف بمعني عبد ولاشك ان طوائف كثيرة من طوائف الروم والزنوج وغيرها من الطوائف التي أطلق عليها هذا المصطلح قد عاشوا في المجتمع الحمادي واستقروا فيه كعبيد أو إجراء، وبالإضافة الى هؤلاء الصقالبة كانت هناك جالية مسيحية يبدو أنها ذات امتداد تاريخي في المغرب وتحرص المراجع المسيحية علي تعميق أة هذه الجالية ونعتها بالبربرية ونسبة كثير من الأعمال إليها فهم يذهبون إلي ان الأمراء الحماديينا ستقبلو في فترة من المحتمل ان تكون متوافقة مع إنشاء القلعة جالية كبيرة العدد من المسحيين من البربر اللذين يعمرون عاصمتهم الجديدة واللذين ضلوا يقطنوا بيها وقتا طويلا بعد إنشاء بجاية، ومن المؤكد ان ثم طائفة مسيحية كانت تعامل معاملة كريمة عاشت في رحاب الدولة الحمادية بدليل بناء كنيسة العذراء التي وردت في غير موضع بطريقة توحي بصدق الرواية إذا لا يعقل بناء كنيسة دون وجود يؤمها، لكننا لا نشك في التأثير الحضاري الذي حاول الكتاب الغربيون رسمه بطريقة مكبرة لدرجة ان الناس لا تر يزعم ان الفاعلين الأول للقلعة إنما هما مسحيون وبان مهندسا يدعي بنياج هو الذي قام بإنشاء جزء من استحكمات القلعة بل نراه يذهب الى القول بأنه خلال العصر الوسيط الإسلامي كله كان حكام الشرق يستعنون في كل الأحوال تقريبا بالمهندسين المسحيين لوضع التصميمات للاستحكامات منشاتهم الحربي[2].

ان هذا القول في رأينا نوع من المبالغة والمغالطة ففي هذا العصر الذي يسميه لا تري للعصر الوسيط الإسلامي وهي تسمية خاطئة بالنسبة لدورة الحضارة الإسلامية كان العكس هو

[1]. عبد الحليم عويس ،المرجع السابق نفسه، ص238.

[2]. عبد الحليم عويس: دولة بن حماد المرجع السابق،ص238.

الصحيح فانا الحواضر والجامعات الإسلامية كانت هي مركز للاستأدية للمسلمين وكانت المصدر في كل الفنون والعلوم تقريبا لأوروبا النصرانية وكانت القاهرة وبجاية وقرطبة وبغداد ويلزم على رأس هذه الحواضر وستثبت دور بجاية فيما بعد فقد اثبت الالتحام بين المسيحين والمسلمين الذي تم في القرنين السادس والسابع للهجرة مدى عمق التخلف بين علماء وأطباء صلاح الدين الأيوبي وبين الآخرين من المسيحين، وعلى اية حال فلا شك ان هناك جالية مسيحية عاشت في ضلال الحمادين تأثرت بالمجتمع الحمادي وكذلك أثرت فيه بقدر ما تؤخذ في الأقلية من المجتمع وبقدر ما تستطيع ان تعطي[1].

ب- **العادات الاجتماعية:**

لقد عاشت هذه الطوائف وربما غيرها حياة مستقرة وربما حافلة بالعطاء العمراني والحضاري، ولقد نجح الحماديون في فتح كل النوافذ دون ان يفقدوا أنفسهم وأرسوا سياسة التسامح والحرية أساسا يقوم البناء الاجتماعي ولاشك انه بدون هذه السياسة ما كان يمكن ان تسير حياة مجتمع يضم بين جوانبه كل هذه العناصر بكل ما تضمه بين جوانبها من مطامح وتيارات[2].

ويلخص" **بروفنسال**" هذه السياسة التي قام عليها البناء الداخلي للمجتمع الحمادي حيث يتحدث عن بجاية في هذا العصر فيرى أنها كان يسودها قدر من الحرية في العادات، دون ان تبلغ مبلغ الأمر الجائز المصرح به وربما كانت أخبار المهدي بن تومرت على الرغم من بعض المبالغات البيذق وابن القطان أهم مصدر يطلعنا على الحالة الاجتماعية القائمة على الحرية التي اقتربت من الفوضة في بعض الأحيان فعندما دخل ابن تومرت بجاية سنة 514هـ 1120م، القي بها الصبيان في زى النساء بالضفائر والاضراس والزنة وطواقي الخز والقي الأرذال قد فتنوا بذلك وانهكوا ...ثم حضر عيدا فرأى من اختلاط الرجال بالنساء والصبيان المتزينين المتكحلين ما لا يحل[3].

---

[1]. عبد الحليم عويس المرجع السابق، نفسه،ص238

[2]. نفسه، ص239.

[3]. عبد الحليم عويس: دولة بني حماد :، المرجع السابق،ص240.

وعندا حاول ابن تومرت تغيير هذا المنكر وتسبب في إحداث هرج استطال فيه الشر وسلبت النساء حلها سئل العزيز عن سبب ذلك فعلم انه بسبب الفقيه السوسي (ابن تومرت) فلم يفعل سوى ان أمر بجمع الطلبة لمناظرته واجتمعوا به في دار احدهم بعد ان احتفلوا في إعداد المطاعم والمشارب ونظرهم المهدي الذي كان قد رفض الذهاب إليه اول مرة فغلبهم ولان كانت هذه الحالة التي وردت عن البذق وابن القطان الدالة بوضوح على نوع من الحرية الاجتماعية التي يتمتع بها المجتمع الحمادي فإنها تدلنا كذلك على نوع الحرية التي تمتعت بها المرأة فقد كانت تختلط بالرجال وتسفر عن وجوهها، فان بعض الرجال يتشبهون بها فيلبسون الأقران الزرارية ولباس الفتوحات[1]. وقد ظهر بتأثير هذه الحرية القريبة من الفوضى لاسيما من النصف الأخير من عمر الدولة كثير من المنكرات الصريحة كالخمول والتبذل الجنسي، وفي مجتمع الحمادين تمتعت طائفة الفقهاء بمكانة اجتماعية طيبة يبدو ان هذه المكانة لم تصل الى المكانة التي تمتع بها الفقهاء في مجتمع المرابطين المجاور للدولة، ولقد كانت المدن الحمادية زاخرة للأعياد والمناسبات ذات الصبغة الدينية كما ان الإيمان بالأولياء كان ظاهرة منتشرة لاسيما في بجاية التي أطلق عليها ومنا طويلا (مكة الصغيرة)لكثرة الأولياء بها ويقال ان عدد الأولياء ببجاية مئة إلا واحدا، لقد كانت التجارة إحدى الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع فثمة اسواق داخلية للمدن وهناك اسواق كبرى في المدن الرئيسيۃ في بجاية قسنطينة وبونه، ومما لا شك فيه ان طبقة التجار كانت احدي الطوائف التي تكون منها هذا المجتمع والحركة التجارية الواسعة التي تدلنا على الحياة الاقتصادية دليل على مكانة جيدة لهذه الطبقة[2].

والى جانب هذه الطوائف وجدت طوائف مذهبية متداخلة معها ... فمن سنة مالكة وأحناف الى الشيعة فبعض كتامة الى مسيحين ، الى خارجين اباضية، الى يهود ان التسامح في المجتمع الحمادي لم يكن دينيا بحسب يسمح لأبناء الطوائف المذهبية بالحياة في امن ولم يكن هذا التسامح يسمح بالحياة لكل الأجناس المختلفة الأصل والانتماء فحسب بل كان يسمح كذلك

[1]. عبد الحليم عويس: دولة بني حماد :، المرجع السابق،ص 241.

[2].نفسه،ص 241.

بالتجاوز بالاستعمالات والتقاليد باعتبار بجاية مدينة متوسطية (بحر ابيض) تتفاعل مع كثير من العادات والتقاليد المحيطة بها ولاشك ان أعياد الحمادين كانت الأيام التي تحمل أكثر من غيرها سورا متعددة من التحلل والخروج عن المألوف ويبدو ان الاحتفالات في الأعياد أو في المعارض أو غير ذلك كانت تحضي من الحمادين بفائق عناية ويدلنا على ذلك ان قصر(أميمون) في بجاية كان يضم قاعة تستغل في مثل هذه الاحتفالات ويرجع ان الأمراء الحمادين كانوا يفتتحون الاحتفالات الشعبية والمعارض التي يغلب عليها التبادل التجاري[1].

ويرجع عثمان الكعاك هذه المظاهر الى هجرة الاندلسين والصقلي نالي الجزائر واستقرارهم بالسواحل وحملهم معهم عناصر المدينة كالصنائع الرقيقة وأسباب الرخاء في العيش والميل الى الترف والظواهر المزخرفة فاخذ البربر بها عملا بناموس الانقياد والتقليد [2]ربما كان المرابطين أبناء عموميتهم تأثير كبير في نشر هذه العادات فمن المعروف إنا المرأة المرابطية لاسيما بعد مرحلة يوسف بن تاشفينت قد ظهرت في المجتمع ألمرابطي تشارك في الحياة العامة تتمتع بحرية ومساواة، والذي لا شك فيه ان العادات البربرية عموما كانت ذات تأثير كبير في المجتمع الحمادي وكذلك المغالاة في المهور والأثاث، كما رأينا في زواج الناصر والمنصور والعزيز، وكالمغالاة في المظاهر الخارجية فقد كان لملوك صنهاجة عمائم شرب مذهبية يغالون في ثمنها فتصل العمامة منها إلي خمسة مئة دينار أو ستة مئة وكانوا يعممونها بأتقن صنعة، فتاتي تيجانه ولهذه العمائم صناع متفرغون لذلك يأخذ على تعميم عمامة منها دينارين أوأكثر[3].

ومن المغالاة في الكرم وحب الفقراء وتعظيم العملاء وحب الأولياء والإيمان بخوارقهم وقد كان في بجاية الحمادية عددا لباس به من الأولياء الصالحين المتكلمين حتى عرفت باسم مكة الصغيرة، لقد نجح الحماديون بان يوفروا الأمن والهدوء لمجتمعهم فجنبوه كثيرا من المشاكل التي أودى بعضها بقبائل قريبة لهم واستطاعوا ان يوازنوا بين كل العناصر ان يحتفظوا بهذا

[1]. عبد الحليم عويس: دولة بني حماد : المرجع السابق،ص 242.

[2]. عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر: المرجع السابق، ص282.

[3].مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق ص129.

التوازن الى أخر أيامهم فأصبح المجتمع الحمادي في فترة تاريخية إسلامية قلقة مليئة بالإحداث من أكثر المجتمعات رفاهية وعلما ورخاء وأمنا[1].

كان سكان المغرب الأوسط الحمادي يسكنون في دور مبنية بالحجر في قلعة بني حماد وتبسة أو بالطوب في ناحية الزاب حيث ان الأسواق كانت مشيدة بهذه المادة البنائية [2]" فكان سكان المغرب الأوسط في الدولة الحمادية يأكلون الحنطى والشعير والبقول واللحم والتمور والفواكه والزيت والسمن والعسل وان في عهد العزيز كانت الخمر تباع في سوق باب البحر ببجاية وفيما يخص الأطعمة فلا نعرف اسم طعام واحد المركازالذي ذكره على ابن الزيتوني ابن الشاعر وجاء في تعليق هذه الكلمة (المركاز: ان تافق بلغة أهل المغرب وهي الضفادع او الغزان تحشى باللحم المدقوق وتغلي) ولكن لحسن حضنا لنا بفضل الأستاذ إدريس عدة معلومات والأطعمة الموجودة في عهد الزيرين فبينا الأستاذ إدريس ان الكسكسى غير مذكور في النصوص الزيرية وأنا الخبز كان يعجن في الدار ثم يحمل الى فرن المدينة وان الشعير والحنطي والفول والحمص كانت تحمص في أغلبية الأحيان[3].

ثم حدثنا الاستاذ ادريس عن الاطعمة وذكر ان اشهرها كانت اللبسيسة التيكانت تصنع بالسميد الشعير المحمص والزيت والماء والهريسة التي كانت تطبخ بالقمح واللحم المرحين ولحم الدجاج بزيت الزيتون والعصيدة التي كانت تطبخ بالقمح والماء والسمن والعسل والبيصال وهو الفول المطبوخ في اللبن والسمن وأوراق السلق المطبوخة بالحمص او الجزر او الفول والدشيش وهو شربة مصنوعة بالشعير المدشش والثريد وهو الخبز المفتت في المرقة ، وكانت الحلويات المعروفة هي الكعك والسفنج والعسل والوزنيج والقطائف الحالية والقرص بالسميد والعسل والقباط الذي كان في بعض الاحيان يحشى باللوز وقصب السكر الذي كان يقطع قطعا صغيرة ويمذغ، واخبارنا الأستاذ إدريس من جهة أخرى ان في الأرياف كان كل شخص يأكل مدا من

[1]. عبد الحليم عويس: المصدر السابق، ص242-243.

[2]. رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص163.

[3]. رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص161-162.

القمح يوميا او أكثر من مد من الشعير يوميا ويأكل اللحم مرتين وثلاث مرات في الأسبوع ويستهلك ستة أثمان من الدينار لزيت والبقول[1].

3. الدولة الزيانية:

أ-الألبسةوالأطعمة:

ان المادة العلمية التي تطرقت الىالألبسةوالأطعمة في العهد الزياني قليلا، مما اوجد صعوبة في إعطاء صورة عنها ولكن رغم ذلك فقد اعتمدنا على دراسات الدول المجاورة لها وذلك على اساس تواصل ما بين المغرب بحكم الدين واللغة، وتمازج السكان باعتبارهم أصول الواحدة. وبذلك فقد تنوعت الألبسةوالأطعمة بتنوع الطبقات الاجتماعية للمشكلة المجتمع، فاللباس بطبيعة الحال لم يكن موحدا عند كل الأهالي ذلك لان هذا الامر يكون مرتبطا باختلاف الطبقات الاجتماعية هذا من جهة وأخرى مرتبطة بالفصول وظروف العمل من جهة اخرى فهناك ملابس خاصة بالصيف وأخري بالشتاء.

I. اللباس:

1. **لباس الطبقة الخاصة:** لقد حاولت هذه الطبقة الظهور امام الرعية بمظهر العظمة والاجلال، ومن ذلك اعتناؤهم باللباس في لباس السلطان الزياني متميز عن الرعية فهو لباس غاية في الاناقة وكان السلاطين يلبسون الحرير رغم معارضة الفقهاء ويتعممون بالعمامة التي كان سلاطين المغرب الاسلامي يرتدونها، وقد ذكر صاحب الاستبصار القريب من عهد بن زيان ان اهل بجاية كانوا متخصصين في صناعة العمائم وهي مطروزة بالذهب تساوي الواحدة منها مابين الخمسة مئة وستة مئة دينار والعمامة شعار الاسلام في المغرب عامة [2] اضافة الي لبس الاثواب المصنوعة من القطن والدباج

[1]. رشيد بوريوبة: المرجع السابق، ص163.

[2]. مختار حساني: الدولة الزيانية،ج1، دار الحضارة، الجزائر،2007،ص115.

والصوف الرفيعة المصنوعة في مدينة تلمسان وتخضع في لونها وخفتها وخشونتها الي فصول السنة [1].

اما العلماء والفقهاء كان لباسهم عبارة عن كسوة تشتمل على برنوس ابيض مصنوع من الصوف ثم احرام لتردية ومنديل ويتعمم به ودراعتين وقبطية وسداسية ويتميز أهل المغرب باستخدام اللون الأبيض الذي يعود استخدامه الى اهل الاندلس[2] ويتميز الاساتذة القضاة والائمة وغيرهم من المواظفينبلبساهم الجميل والحسن يتناسب لباس الطلبة مع وضعيتهم المادية والاجتماعية فالجبلي بلباسه الجبلي والاعرابي بلباسه الأعراب [3] فقد عرف العهد الزياني في ظهور اقطاب التصوف وشاع السلوك الزهدي وفشت في المجتمع ظاهرة الصلاحاء والاولياء ، فانتشهر المتصوفة في البادية والحاضرة ونظرا لكون اللباس اهم مظهر خارجي يجسد سلوك الصوفي ومن اهم المؤشرات الدالة عليه فانه لم يكن عندهم الا للضرورة المحققة لأغراض منه:" وكان لباسهم ماستر وطعامهم ماحضر[4]فكانوا يلبسون المرقع والخرق*والبالي والتليس*. اما الجنود فكانوا يلبسون اقل جودة، حيث يرتدون في فصل الصيف صدرية ذات اكمام عريضة ما يساعد على تسرب الهواء الي اجسامهم وتخفيف شدة الحرارة [5]اما في فصل الشتاء قيظفون اليها سترة من الجلد لتقيهم من شدة البرد والأمطار التي يتميز بها فصل الشتاء في تلمسان وهذه السترة تشبه القميص، اما الضباط والقادة العسكرين فيضعون فوق القميص كساء

[1]. عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، موقع لنشر والتوزيع ، الجزائر،202،ص267.

[2]. نظال مؤيد مال الله، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني، رسالة ماجيستر اشراف : عبد الواحد ذ ن طه جامعة الموصل ،2004،ص93.

[3]. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ص267.

[4]. ابن الزيات: التشوف الى رجال التصوف، تص : ادولف فور، مطبوعات افريقيا الشمالية الفنية ، الرباط، 1958، ص19.

*. الخرقة: تعني القطعة من خرق الثوب والخرقة الممزقة منه ويقال خرقة الثوب اذا اشققته ويقال للرجل الممزق الثياب منحرف السربال، انظر ابن منظور، لسان العرب، مج 10، دار صادر بيروت ،ص93.

*.تليس: عبارة عن قطعة كبيرة من نسيج خشن من صوف او شعر الماعز او الخوص يستعمل كصبا طاو غطاء قد يتم تخيطه ليعمل به اكياس لحمل المزروعات، انظر نفس المصدر مج 6،ص39.

[5]. مختار حساني ،المرجع السابق،ج3، ص121.

اخر من الجوخ (الملف)ويجعلون فوقه معطفا على نمط المعاطف التي كانت تستعمل قديما في ايطاليا به شاشية يغطون بها رؤوسهم عند نزول المطر[1].

2. لباس الطبقة العامة:

تنوعت البسة الطبقة العامة خلال العصر الزياني بين الجبة والكساء والعمامة والسراويل والبرانيس والدراعة وغيرها والغالب على تلك الالبسة مصنوعة من الصوف على اعتبار ان لباس الصوف يعد لباسا عاما شاع استعماله في بلاد المغرب فتشير المصادر التاريخية الي لبس الجبة المصنوعة من الصوف في شتى انواع المغرب والاندلس، وكان اهل البوادي يلبسون الالبسة الخشنة والبسيطة من الصوف والكتان ويرتدي الصناع لباسا قصيرا ويتعمم قليل منهم ويضع البعض منهم الاخر قنانيص على رؤوسهم بدون ثيابا وينتعلون نعلا تعلو الي نصف الساق وهم اناس بسطاء يتحالونبالأدب ويتقنون عملهم بمهارة[2].

وإذا تعرضنا لزي العرب فانهم كانوا سواسية في لبس المخيط وربما القوا رداء على ظهورهم والتفوا بإيزار واتخذوا العمائم التلمساني والبرنوس الزنات [3] ونستخلص مما رواه القلقشندي عن زينهم في العصر الموحدي ان الاشياخ والعامة كانو ا على زي واحد لا يمتاز بعضهم علي بعض إلا بشي ء واحد لا يكاد يظهر ولا يبين وهو صغر العمائم وضيق القماش كما أنهم يتلثمون تحت أذقانهم بأطراف عمائمهم متأثرين بذلك بالزناتة [4] وكذلك ما يصفه ابن صاحب الصلاة في قوله: "وكسي جميعهم بالقباطي * والقمص والغفائر *".

وفي موضع أخر يقول:" ثم أعطى الكسوات لموحدين والأشياخ من كل قبيلة ولطلبة الحضر والعرب بل أعطي كل واحدة ستة أثواب: عمامة، وغفارة، قبطية، مبطنة، ومقطعين مهدوين

---

[1]. عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق، ص267.

[2]. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ص267.، كذلك مختار حساني المرجع السابق، 122.

[3]. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص269.

[4]. مصطفى ابو ضيف عمر: القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبني مرين ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1982، ص253.

*القباطي : جمع قبطية هي الثوب الابيض الرقيق من الكتان، انظر نفس المرجع ص254.

* الغفائر: جمع غفر كساء يلبس فوق الاخر، نفس المرجع ص254.

وكساء""[1]"، اما أهل الذمة فقد كان مفروضا عليه ارتداء ملابس خاصة وهي تختلف عن ملابس المسلمين ولونها اصفر ويحملون على رؤوسهم عمامة صفراء كذلك [2] وكان اللباس الخشن هو لباس الفقراء والمعوزين ويمكن ان تتخيلها مرقعة أو رثة تعبر عن فقر صاحبها ويلبس أهل تلمسان الحذاء يعرف بالنعل والقبقاب*

3. لباس المرأة:

كانت المرأة العربية قبل الإسلام ترتدي ثوبا بسيطا مفتوحا من الصدر يتصف بالأتساع، ولما جاء الإسلام أوصى بتحشم النساء وعدم إبداء زينتهم إلا لبعولتهن، فصارت المرأة تلبس عباءة أو ملاءة فضفاضة فوق ثوبها ومع اتساع الدولة لإسلامية وازدياد الثراء لاختلاط العربيات بأهل الشام ومصر وغيرها من البلاد اخذ زي المرأة يجنح نحو التعقيد والمبالغة فاتخذت نساء الطبقات الراقية غطاء لراس مرصعا بالجواهر ومحلى بالذهب والاحجار الكريمة والنعال المرصعة بالجواهر اما الثياب فقد استعملن فيها انواع جديدة من الاقمشة الثمينة الرقيقة وبها خيوط رفيعة من الذهب[3].

وقد بلغ ثمن لباس المرأة الغنية بآلاف الدنانير اما المرأة الرقيقة فكانت ترتدي الأسمال والحلقات المصنوعة من القطن والصوف وقد تعقدت ملابس المرأة خلال الأزمنةالمتأخرة قد ساعد على ذلك عدة عوامل نذكر منها: الثراء الذي اصابته بعض الدول مما ترك بصماته على الحياة الاجتماعية[4].

---

[1]. مصطفي ابو ضيف عمر، المرجع السابق،ص254.

[2].ابراهيم حركات: الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب مجلة الاصالة ، ع26، مؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2012،ص188.

*القبقاب: فكان ينتعله الاعيان عندما تكون الازقة موحلة وهي جيدة الصنع مزخرفة صحف بالحديد موشاة بغطاء من الجلد، مطرزة لا يستطيع الفقراء اقتناؤها لغلائها وتصنع هذه القبائق من الخشب الابيض والاسود ومن خشب الجوز، انظر عبد العزيز الفيلالي، ج1،ص301.

[3]. سعيد عاشور:المرأة والمؤسسات في الحضارة العربية، دار المعارف تونس ،ص59.

[4]. سعيد عاشور: المرجع السابق ،ص60.

اما المرأة الزيانية العربية ترتدي ملابس تتألف من قميص اسود عريض الكمين تضع فوقه خيمارا من نفس اللون او لون ازرق او تعصب بيه او تلف بيه جسدها [1]، وكانت تلبس سراويل وقميصان من القطن وايزار* من حرير للنساء وميسورات الحال ومن الكتان والصوف اقلهن غناء له اكمام تختلف نوعا حسب مكانة الاجتماعية والمادية ومن لباسها السفساريالزياني او الحايك وكانت المرأة اذا خرجت من منزلها ترتديه ويسمي الحايك المرمي وهو لباس تقليدي اصيل ومازالت المرأة الجزائرية تلبسه في الغرب الجزائري والجنوب ويبدوا انه من مخلفات التراث الرسمتيلأنه استمر عبر التاريخ الزياني اما الرحالة الاسباني مرمول فقد ذكر ان المرأة في المغرب الأوسط ترتدي حائكا باللون الابيض وقد اشار هايدو الي المرأة في الجزائر وقال انها ترتدي معطفا ايضا من الصوف الرقيق ومن القماش والحرير يعرف بالحائك والجواري كن يخرجن غير ملتحفات عكس المرأة الحرة[2].

هذا فيما يخص المرأة المسلمة اما نساء أهل الذمة فكن يلبسن الإزار ملونا فالمسيحيات يرتدين اللون الأزرق واليهوديات اللون الأصفر تمييز لهن عن المسلمات [3]، وكانت المرأة التلمسانية كانت تستعمل أدوات للزينة من الحناء المنقوشة والسواك والكحل والوشم وتتعطر بأنواع المسك والعنبر وماء الورد[4] ، اما في أوقات الاحتفالات فكان لها لباس خاص ولا زال ليومنا هذا يلبس في مدينة تلمسان لكنه تطور بتطوير الزمان.

---

[1]. مختار حساني : المصدر السابق ، ص122.

*ايزار: هو عبارة عن ملاءة تلتف بيها المراة متسعة وفضفاضة تغطي ملابسها كليا، انظر عبد العزيز فيلالي المرجع السابق ، ص302.

[2]. مختار حساني : ج3، المرجع السابق ،ص122.

[3].عبد العزيز فيلالي: ج1، المرجع السابق، ص32.

[4]. حسن الوازن: المصدر السابق، ج1،ص52.

II. الطعام:

1 - طعام الطبقة الخاصة:

ما من شك فيه ان طعام الأمراء والخاصة في العصر الزياني تباين بين مرحلة وأخرى وتأثر بأحوال الدولة ففي بداية الدولة كانت معيشتهم بسيطة ثم تطورت في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني فأصبحت متنوعة فصارت الطبقة الغنية تتأنق في الأكل والشرب ومن الأطعمة الإسفنج وهو لفطير المقلي في الزيت [1]والبسيسة* التي كانت تصنع بسميد الشعير المحمص والزيت والماء وفي بعض المناطق من القمح وقد ذكرت المصادر التاريخية ان الكاهنة كانت تصنعها بيدها ولا تزال الى يومنا هذا خاصة بمناسبة الولادة حيث تقدم لنفساء للأشخاص اللذين يأتون لتهنئة بالمولود الجديد وكانوا يفضلون أكل الثريد* وقد كان هذا النوع من الطعام مفضلا منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم " فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام [2].

إضافة الى الدشيش وطعام الفداوش*،والعصيدة التي تصنع من الدقيق الرفيع يضاف إليه الزبدة والسمن في المناطق الرعوية [3]وقد عرفت الطبقة الغنية أكل الشواء والحمام المقلي والطواجن والرفيس والكرش والدوارة والمركوس وهو غذاء لذيذ يصنع من الحكم الفخذ أو سن الضان ويخلط بالزيت والفلفل والقرفة والشحم واكل الترفاس فضلا عن أنواع عديدة من الخضر كالجزر والخردل والباذنجال والفول الأخضر واليابس من البقلاء أو البقول أو القطاني ،كالعدس

---

[1]. عبد العزيز فيلالي، ج1، المرجع السابق،ص265.

*البسيسة: تسمى كذلك تقنتة، انظر الحاج محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1995، ص375.

*الثريد: يصنع الثريد من الخبز المختمر بالسمن أو الشحم والحم أحيانا ، انظر عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ،ج1،ص265.

[2].الإمام البخاري، صحيح البخاري، تح طه عبد الرؤوف سعد، دار الرشيد الجزائر 2003،ص1147.

*الفداوش:يصنع من العجين وهو ثلاثة أنواع من المستطيل الشكل على هيئة القمح منه المستدير على حب الكريرة ويسمى في بجاية الحميص ،ومنه ما يعمل رقاقا في رقة الكاغد تصنعه النساء ولعله ما يعرف اليوم في قسنطينة بالتليتلي والمحمصة والفتات أو ثريد الطحين ،انظر عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ج2،ص299

[3].مختار حساني ،المرجع السابق ،ج3،ص113.

والحمص وغيرها وعرف أهل تلمسان شرب الحليب واللبن الرايب ومشتقاته من زبدة وجبن[1].

2 - طعام الطبقة العامة:

كانت أكلة الكسكسي وهو دقيق يخلط برشات من الماء ويفتل بالأصابع ويكون في بعض الأحيان مصنوع من الشعير مثل الخبز[2].

اما المتصوفة فكانوا يتقشفون في معاشهم زهدا بالرغم من ان كثير منهم كانوا ميسوري الحال ويكثرون في أكل الشعير بالشحم والأدم،وعرف التلمسانيون أكل مخ الضان والبقر ولحم المعاز والجمل والخليع والقديد المعروف عندهم بالمسلي ومن الحلويات الزلابية والكعك إضافة الاشربة كشراب عود القماري ويعود للبخور ايضا،ويضاف للأطعمة والاشربة لإعطاء النكهة شراب العسل وشراب النعناع وشراب الورد الأخضر واليابس وشراب الرمان وشراب الجزر والتفاح "[3]".

[1].عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ج1،ص265-266.

[2].عبد العزيز الفيلالي ،المرجع السابق ،ج1،ص265.

[3].نفسه ،ص266.

الخـــــاتمة

من خلال دراستنا لموضوع تطور الصناعة في المغرب الأوسط من القرن (2-9هـ) وتأثيراتها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، فالإسلام أعطى مكانة مقدسة للحرف والصناعات فساوى بينها وبين العبادة وفضلها على الجهاد والعلم لان بها مكسب الفرد ومعاشه وحث الدين الاسلامي على العمل وأكد حرمته وجعل الإنتاج عبادة وتقربا الى الله بل جهادا في سبيل الله، ومن خلال دراستنا هذه توصلنا الى النتائج التالية:

- ✓ الصناعة هي كل نشاط يتفاعل فيه الإنسان مع البيئة المحيطة ليطوعها لاحتياجات ويصنع بها عالم أشيائه، وهي ايضا عمل يدوي جهدي يقوم به صاحب الصنعة أي كل ما يصنع باليدين فهو من يقوم بإتقانها وحرص عليها.
- ✓ عرف المغرب الأوسط عدة دوليات تعاقبت على حكمه في الفترة المدروسة منها الدولة الرستمية، الفاطمية الحمادية والزيانية وكان لكل دولة منها سياسة اقتصادية خاصة بها كان لكل منها دورها البارز في دفع حركة النشاط الاقتصادي.
- ✓ توفر المغرب الأوسط على عدة عوامل طبيعية وبشرية مكنته من مزاولة النشاط الزراعي وكان لها تأثيرا مباشرا في الإنتاج الزراعي ايجابا وسلبا حيث تنوعت الحاصلات الزراعية وما اتصل بها من ثروة حيوانية في فترة دراستنا غير اننا نجد تذبذب بين الحين والأخر وتراجع رهيب في إنتاجها خلال القرن (5هـ/11م) وهذا راجع الى الكوارث الطبيعية والمجاعات والأوبئة التي أصابت المنطقة اضافة الى اثر الهجرة الهلالية كما كانت في بعض الأحيان سياسية الدولة نفسها تقف عائقا امام تطور نشاط الزراعة وذلك من خلال الضرائب المفروضة وهذا ما شاهدته بلاد المغرب الأوسط أبان العهد الفاطمي .
- ✓ من خلال المجال الصناعي فقد تبين من الدراسة تضافر عدة عوامل ساعدت على تطوير الصناعة منها وفرة المعادن واتساع العمران الذي له روابط وطيدة بارتقاء الصناعة، وسياسة الدول المتعاقبة لتشجيع هذا القطاع، كل هذه العوامل مكنت من

بروز عدة صناعات كصناعة النسيجية وغيرها، كما عرفت ظهور عدة عوامل سلبية وقفت عائقا في تطورها كالمنافسة الخارجية والتشابه الصناعي بين انحاء المغرب الأوسط .

- ✓ أن المغرب الأوسط في ظل الدولة الرستمية الحمادية عرفت تطورا اقتصاديا خاصا في الجانب الصناعي وذلك لتوفر مواد الخام واليد العاملة، حيث قامت الصناعات على المواد النباتية والحيوانية في عدة مراكز نذكر منها:تيهرت، قلعة بني حماد، بجاية، بونة، القل، مجانة،قسنطينة ...
- ✓ تميزت الصنائع والحرف في المغرب الأوسط بفن الحضارات الأخرى كالوفود التي لجأت إليه،كالفرس والأندلسيين والمالطيين والنومارديين والصقليين.
- ✓ بالإضافة الى تميز الصناعة الرستمية كحرفة النسيج فاختلفت ألوانها وأشكالها فكان لليهود دور في صناعة الاصباغ وقد أشارت الى ذلك الكتب الإباضية.
- ✓ يمكن القول ان الصناعة في العهد الرستمي رغم بساطتها وبداوتها فإنها لبثت حاجات أفراد المجتمع الرستمي بحيث كانت تقوم على الزراعة والمشاية.
- ✓ اما فيما يخص الدولة الحمادية فقد شهدت الصناعة تميزا هاما في صناعة الأواني الفخارية وذلك لما يظهر عليها من تناظر وحزوز وتموجات باستعمال الألوان ومزجها وكذلك استعمال الفنان الحمادي الطينة الكلسية او الجيرية التي أعطت بعد عمليات الحرق طينات فاتحة اللون وهذا ما يفسر صناعة الخزف في قلعة بني حماد.
- ✓ كما عرفت القلعة صناعة الخزف ذي البريق المعدني اعتمادا على كثرة البلاطات ذات البريق المعدني التي تكسو جدران قصور القلعة فمن غير الممكن ان تجلب بلاطات كبيرة الحجم من خارج القلعة ،بالاضافة الى تشابه الكتابة الموجودة على البلاطات والقطع وبالتالي يمكن إثبات محلية المنتجات الفخارية وما يدل عليه وجود أفراد على سطح جبل الرحمة، وفي ما يخص الخشب فاستعملت الزخرفة المسمارية معتمدة على

أحجام مختلفة للمسامير استخدمت لوظيفتين :التزيين وتجميع الخشب اما الأسلوب الذي اعتمد في الزخرفة يتمثل في الحفر بنوعيه ذو الزخارف البارزة وذو الزخارف الغائرة والعناصر الزخرفة التي ناقشها الصانع تمثلت في عناصر نباتية وهندسية تعبر عن بيئتها وطبيعتها فمنها المراوح النخيلية والإزهار وهي قريبة من الطبيعة والعناصر الهندسية تمثلت في الاشكال الحلزونية .

وبذلك استطاع المغرب الأوسط ان يعيش عصر من أزهى العصور في مسيرة الدولة الرستمية الحمادية وازدهرت الصناعات المختلفة وعرفت بذلك رواج التجارة الداخلية والخارجية.

الملاحق

الملحق 01:

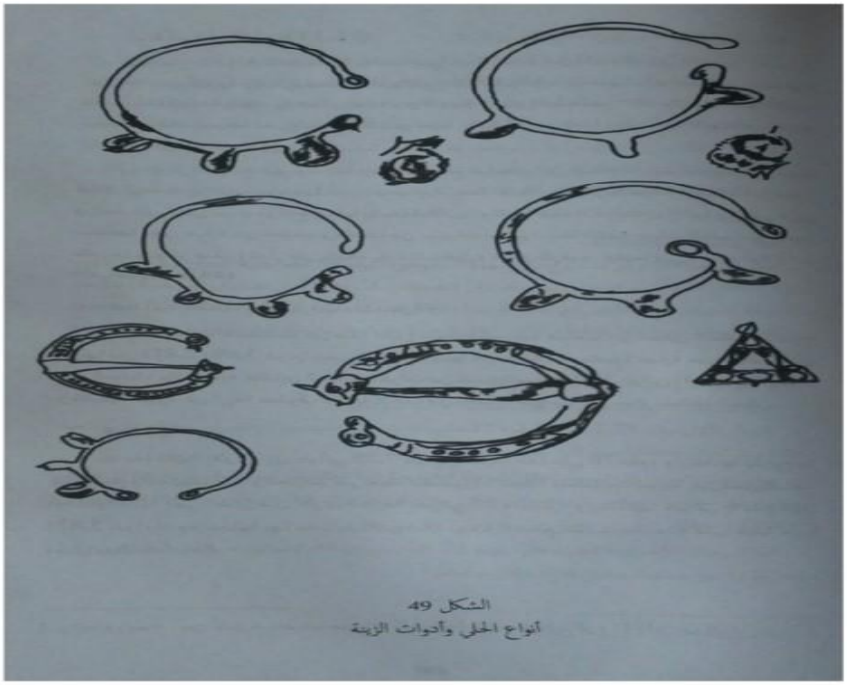

الشكل 49
أنواع الحلي وأدوات الزينة

الملحق 02:

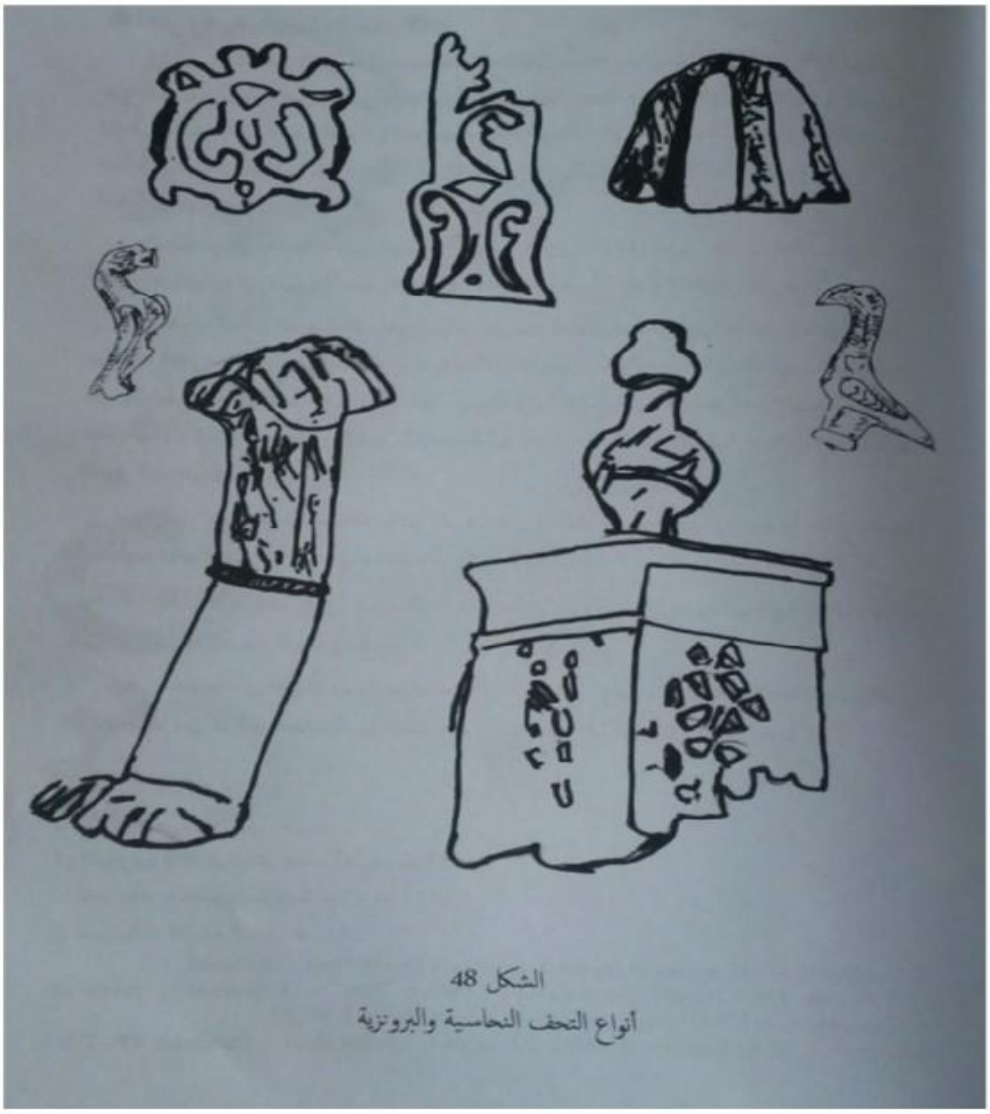

الشكل 48
أنواع التحف النحاسية والبرونزية

الملحق 03:

تمثال لعقاب من البرنز[1]

الملحق04:

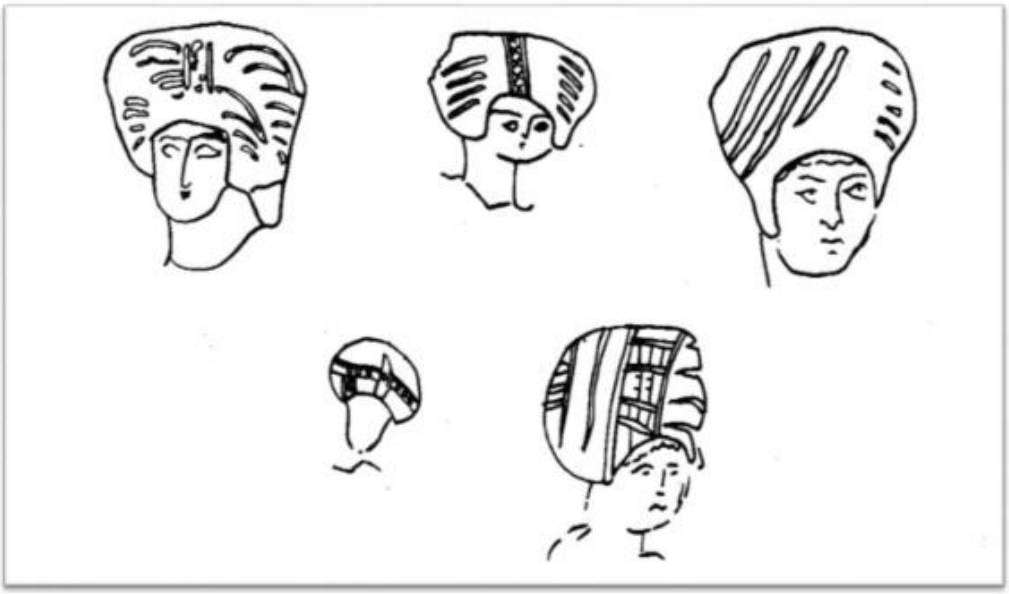

شكل يوضح العمائم الفاطمية.

الملحق 05:

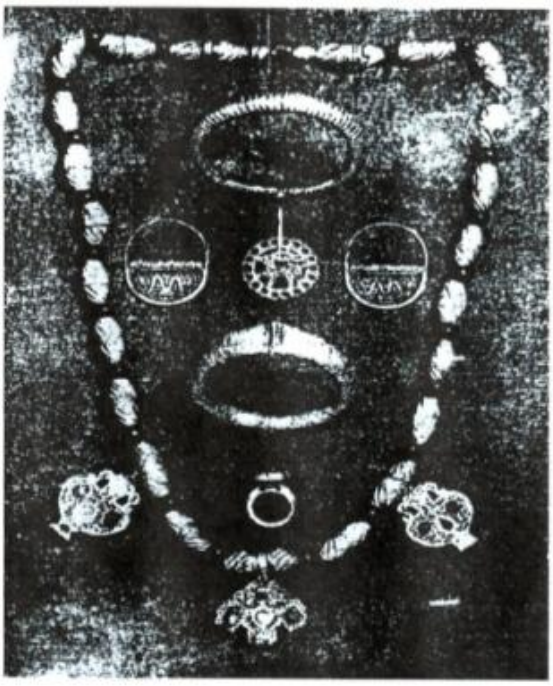

عقد وسواران وخاتم وأقراط من العصر الفاطمي[2]

الملحق06:

قطعة من الخشب توضح طريقة النقش على الخشب[2]

الملحق 07:

رسم يوضح أواني وأدوات منزلية حمادية.

1- رشيد بورويبة،المرجع السابق،ص282.

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

اولا: المصادر

1. . المكناسيالاكسبر في فكاك الأسير، تحقيق محمد الفاسي المركز الجامعي والبحث العلمي الرباط ،1965م.
2. .البغدادي موقف الدين عبد اللطيف بن يوسف (ت 629هـ)الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر،نشر،سلامة موسى ،مطبعة المجلد الجديدة،دط، القاهرة،دت
3. 3.ابن إياس الحنفي ، محمد بن احمد بن اباهي الجعفر (ت 930هـ): بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفي الهيئة المصرية العامة للكتاب د ط القاهرة 1984م، ج1.
4. ابن الاخوة محمد بن محمد بن احمد القريشي (ت 648هـ)، معالم القربة في طلب الحسبة ، تح ،محمد محمود شعبان احسن احمد عيسى ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط 1،القاهرة ،1976.
5. ابن البيطار ضياء الدين : الجامع لمفردات الاغذية والادوبة ، د،ط ، دار الكتاب العلمية ، بيروت –لبنان ،ج2.
6. ابن الحاج ،أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدي المالكي الفاسي (ت737هـ)الدخل الى تنمية الاعمال بحسن النبات ،ج4 المطبعة العامرة الشرقية دط ،القاهرة ،1324.
7. ابن الزيات: التشوف الى رجال التصوف، تص : ادولف فور، مطبوعات افريقيا الشمالية الفنية ، الرباط، 1958.
8. ابن الصغير: اخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق محمد ناصر ، ابراهيم بحاز ، دط، دت ، الجزائر ،1985م.

9. ابن المأمون البطائحي، جمال الدين ابو علي موسى ابن مؤمن الطائحي (ت 588هـ) نصوص من أخبار مصر تح، حو ، فه: أيمن فؤاد السيد المعهد العلمي للآثار د ط القاهرة 1983،.

10. ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي(ت 703هـ) : تحفة النظار في غرائب الأسفار تق محمد عبد المنعم العريان، م ر مصطفي القصاص دار إحياء العلوم ط1، بيروت ،1987.

11. ابن حوقل أبو القاسم النصيبي (ت 380هـ-990م):صورة الأرض قسمان, منشوران, دار مكتبة الحياة, بيروت ،د ت.

12. ابن حيان : المقتبس في أخبار بلاد الأندلس,تحقيق عبد الرحمان الحجي ، دار الثقافة, بيروت, لبنان, د ت .

13. ابن خلدون ، أبو زياد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي(ت 808هـ-1406م) :العبر ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تح خليل شهادة وسهيل زكار د ط, دار الفكر، بيروت، لبنان ،.1424هـ-200م.

14. ابن دقمان ، صارم الدين إبراهيم محمد العلالي(ت 809) : الانتصار بواسطة عقد الأمصار، مطبعة بولاق ،ط1، القاهرة 1892م، ج4.

15. ابن زولاق الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن علي : فضائل مصر المحروسة واخبارها وخواصها ، تح، علي محمد عمر ،مكتبة الخانجي ،دط،القاهرة ،1999.

16. ابن سيدة , ابن الحسن على بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي (ت 458هـ 1065م) :المخصص،د ط ،دار الكتاب العلمية ،بيروت ،لبنان، د ت ن ،سنة12 م.

17. ابن عذارى المراكشي :البيان المغرب في اخبار المغرب ، مطبعة ليدن ، (د ،ط) ،(د ،ن).

18. ابن مماتي شرف الدين ابو المكارم بن ابي سعيد (606هـ)،قوانينالدواوين،تح،عزيزسوريال عطية ، مكتبة مدبولي ،ط1 ، القاهرة 1991م .

19. ابن منظور(711هـ, 1311) لسان العرب : ت ح , عبد الله علي الكبير وآخرون د.ط, , دار المعارف ،القاهرة, د ت ن , مج الجوهري إسماعيل بن حماد (ت 398هـ-1007م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ت ،ح ، أحمد عبد الغفور عطار , دار العلم للملايين ،ط3,،بيروت 1984.

20. أبو عبد الله بن على الصنهاجي ابن حماد: أخبار ملوك بن عبيد وسترتهم، مطبعة حول كاربونيل ، الجزائر، 1935،ص64، انظر أبو محمد أبي قاسم الرعيني ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تح محمد الشمام، المكتبة العتيقة، تونس 1967.

21. أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 370هـ) : تهذيب اللغة،ج 2، تح: عبد الله ريش مراد محمد على النجار، الدار المصرية للتأليف الترجمة،(د.ط)، القاهرة(د.ت).

22. أبو عثمان عمر بن بحر(ت 255هـ) :التبصر بالتجارة ت ع حسن حسني عبد الوهاب التونسي مطبعة الرحمانية ،د ط ،القاهرة ،1953

23. أبي الفضل جعفر بن على الدمشقي(ت ق 6 هـ): الإشارة إلى محاسن التجارة ومعرفة جيد الأغراب وردها وغشوشالمدليس فيها ، مطبعة المؤيد د ط د ب 1318 .

24. أبي زكريا، يحي بن أبي بكر : سير الائمة واخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكريا ،تح إسماعيل العربي ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ط2 ،1982

25. أحمد الشرباصى: المعجم الاقتصادي الإسلامي لدار الجبل، 1981.

26. إخوان الصفا(عاشو في القرن 3 هـ, 1م) :رسائل إخوان الصفا وحلان الوفاء, مراجعة خير الدين الزر كلي،مؤسسة وي سي أي سي، ج 1، مملكة متحدة 1/26، 2018م،ص 161.

27. إسماعيل ابن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية, تحقيق أحمد عبد الغفور عطار, ط4, دار العلم للملايين, بيروت .لبنان 1984م, مج4.

28. تقي الدين أحمد بن على المقريزي (ث 845هـ) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروفات بالخطط المقريزية،ج 3 ت ح محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، م : أحمد زياد، دار الأمين، ط1، القاهرة1995.

29. الحميري عبد المنعم(ت 727هـ/1327م): الروض المعطار في خبر الاقطار, تح ،إحسان عباس, مكتبة لبنان,بيروت, ط1, 1975 .

30. الدباغ ابو زيد عبد الرحمان بن محمد القيرواني ،معالم الإمام في معرفة أهل القيرواني ، تحقيق محمد الأحمدي ومحمد ماضور ،مكتبة الخانجي بمصر ،الناشر المكتبة العتيقة بتونس دت

31. الدرجيني (أبو العباس بن سعيد ح 670هـ-1272م) كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، حققه وقام بطبعه إبراهيم طلاي مطبعة الباحث، قسنطينة 1394هـ1974-م).

32. الزبيدي: محمد مرتضى الحسني الزبيدي(ت 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس،ج23 تح، عبد الفتاح الحاو، مر: مصطفي مجازي-التراث العربيد د،ط ،الكويت ،1986.

33. السقطي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي(ت في نهاية القرن 5 هـ-11م) : في آداب الحسبة باعتناء كون وليفي بروفيتالباريز, 1931.

34. السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر (ت 911هـ) :حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة تح ،محمد ابو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية (د،ط)،بيروت.

35. الشرف الإدريسي(ت 560هـ/1165م) : صفة المغرب وأرض السودان ومحمد والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق.

36. الشماخي احمد بن سعيد: السير ، تح : أحمد بن مسعود السياحي ، ط 2 ،وزارة التراث القومي وثقافة ،سلطنة عمان ،1992،ج1.

37. الشيرزي عبد الرحمان نصر بن عبد الله الشيراز الشافعي (ت 589هـ)نهاية الرتبة في طلب الحسبة ،نش،سيد الباز العريني ،مطبعة لجنة التاليف وترجمة والنشر ، ط1،القاهرة.

38. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد (ت 505هـ-1111م) : أحياء علوم الدين 2 أجزاء,دار المعرفة الطباعة والنشر،,بيروت –لبنان ,د ت.

39. القاضي النعمان :إفتتاح الدعوة، تح فرحات الدشرواي،ط 2، الشركة التونسية لنشر والتوزيع، تونس، 1988.

40. القنقشندي: أبو العباس أحمد بن على (ت 821هـ)، صبح الاعشي في صناعة الإنشاء دار الكتب المصرية د ط، القاهرة مصر 1313-1914م ج20.

41. الكندي أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي(ت 355) : فضائل مصر المحروسة تح على محمد عمر، مكتبة الخانجي،ط1، القاهرة –مصر، 1991.

42. المجيليدي(ت 1094-1346م) ابو العباس احمد بن سعيد : التسيير في أحكام التسعير، تح ،موسى لقبال،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط1 ، الجزائر ، 1981م.

43. محمد علي: معجم كشاف اصطلاحات العلوم والفنون , د ط، د ن, ص1197.

44. مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، الشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، دت.

45. ناصر خسروا العلوي ،ابو ناصر بن الحارث القديانب (481هـ) سفرنامه ،تح يحي الخشاب ،تص ،عبد الوهاب عزام ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط2،القاهرة، 1993.

46. ياقوت الحموي شهاب الدين عبد الله : بلدان معجم البلدان ، دار صادر بيروت ، لبنان ،1977، ج2

ثانيا: المراجع

1. .محمد بن محمد اليمني ،سيرة الحاجب جعفر ،نشر وايفا نوف ،مجلس كلية الأدب ،الجامعة المصرية ،مج 4،ج1،القاهرة ،1936
2. إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية ، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، ط 2 ، جمعية التراث ،الجزائر ،1993
3. إبراهيم بن النور الدين المعروف بابن فرحون المالكي (ت 799هـ): الديباج المذهب في معرفة أعباء علماء المذهب ،ت، ح مأمون بن مجيب الدين الجنان ، ط 1, دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
4. أحمد موسى عز الدين: النشاط الاقتصادي في تاريخ المغرب الإسلامي ,،ط1,دار الشروق بيروت، لبنان ,1403هـ-1983م
5. جودة عبد الكريم يوسف : الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين (3.4هـ/9.10م)، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، (د ت)
6. حجاجي إبراهيم: إصباغ مصر وإخبارها عبر العصور مكتبة سعيد رأفت ،ط 1، القاهرة ،1984
7. حسن باشا: فن التصوير في مصر الإسلامية دار النهضة العربية، د ط، دمشق- بغداد ،2011م
8. حسن علي الحسن ،الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين ،مكتبة الخنانجي ،ط1 ،1980
9. داغر شريل : الفن الإسلامي،ط1, دار الآثار الإسلامية، الكويت1989م

10. راشد البراوي: حالة مصر اقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة النهضة المصرية ، ط1، القاهرة،1942

11. رشيد بورويبة : الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها, ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر,1977-1397.

12. زاكي محمد حسن: كنوز الفاطميين، المؤسسة المصرية لطبع والنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة ،2016

13. سعاد ماهر ،:الفنون الاسلامية ،الهدية المصرية العاملة للكتاب د، ط ، القاهرة ،1982،

14. سعيد عاشور:المرأة والمؤسسات في الحضارة العربية، دار المعارف تونس.

15. السيد طه السيد أبو سيدرة : الحرف والصناعات في مصر الإسلامية في نهاية العصر الفاطمي 90-567هـ، 641-1171م- الهيئة المصرية العامة للكاتب ،د ط، القاهرة 1991

16. صالح يوسف بن قربة : تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الاسلامي،,ط1 2009, التصفيح والإخراج, فضيلة بن سادة الانجاز الفني, رابح خدوسي الابداع القانوني, 2009/763

17. عاصي محمد رزق عبد الرحمان : مراكز الصناع في مصر الاسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (دط) ، القاهرة ، 1989

18. عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي (22-462هـ/642-1070م) ،عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الهرم ط93،2001،1.

19. عبد العزيز مرزوق: الزخرفة المنسوجة في الأقمشة الفاطمية، دار الكتب المصرية،د ط ،دمشق- القاهرة 1942

20. عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر ، نشر مكتبة العرب بتونس 1925.

21. عطية مصطفى مشرف : نظام الحكم بمصر في عصر الفاطميين (358-567هـ/968-1171م) ، دار الفكر العربي ،ط1، بيروت ن1948

22. عمار عمورة: موجز في تاريخ الجزائر، دار الريحانة للنشر والتوزيع، ط1 .

23. فيلالي عبد العزيز: العلاقات السياسية الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1982م.

24. لومبارس موريس: السلام في مجده الاول من القرن الثاني الى القرن الخامس هجري ترجمة اسماعيل العربي ط3، دار الافاق الجديدة المغرب 1990

25. محمد الحسن العيدروس ،دول المغرب العربي في عصر الدولة الفاطمية ، دار الكتاب الحديث ،القاهرة ،ط1 ،2001 إدريس عماد الدين الداعي: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، نشر محمد اليعلاوي، ج 5 عبد الحليم عويس: دولة بن حماد مكتبة الإسكندرية ط21411هـ -1991م .

26. محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي(ت 703هـ) : رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأسفار تق محمد عبد المنعم العريان، م ر مصطفي القصاص دار إحياء العلوم ط1، بيروت ،1987

27. محمد سعيد القاسمي: قاموس الصناعات الشامية، تحقيق ظافر القاسمي ومحمد سعيد القاسمي، ج1

28. محمد عمارة : قاموس مصطلحات في الحضارة الإسلامية، ط 1 ،دار النشر،بيروت 1413هـ 1993م

29. محمد عيسي الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني, دار القلم للنشر والتوزيع,ط2, الكويت, 1987,

30. محمود هدية : اقتصاد النسيج في الغرب الاسلامي في العصر الوسيط ، (د ، ط) جنداوي ، المملكة المتحدة ،(د، ت)

31. مختار حساني : تاريخ الدولة الزيانية ،الاحوال الاقتصادية والثقافية ، ج 2،الطبعة 2009

32. مصطفى ابو ضيف عمر: القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبني مرين ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1982.

33. نعيم زاكي فهمي : طرق التجارة الدولية ومحطاتها من الشرق والغرب ، أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د،ط ، القاهرة ،،1973.

34. هوايدا عبد المنعم رمضان: المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي ، تق عيد العظيم ،دون طبعة، القاهرة 1994م، ج1.

ثالثا: المجالات.

1. ابراهيم حركات: الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب مجلة الاصالة ، ع26، مؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2012.
2. إحسان عباس: المجتمع التيهرتي في عهد الرستمين، مجلة الأصالة، عدد 41مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر،1379هـ-1977.
3. إسماعيل العربي: دولة بن حماد، ملوك القلعة وبجاية، مجلة الاصالة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1980.
4. ثامر لفته حسن الساعدي ،الصناعات في مصر الفاطمية (358_567هـ/969_1171م)،مجلة كلية التربية ،مج2، ع2،دب،2011م.
5. جديد عبد الرحيم: نماذج من حرف وصنائع البناء والعمارة بالمغرب الأوسط عصر الدولتين الحمادية الزيانية، مجلة الحكمة لدراسات التاريخية جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة2، مجلد5 العدد11
6. عمر بلبشير: مساهمة في النشاط الصناعي والحرفي في بلاد المغرب، مجلة مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية-جامعة معسكر-العدد الرابع 2013.
7. فرحات محمد ابراهيم بكار : الانشطة الاقتصادية في مدينة تلمسان خلال العهد الزياني ما بين القرنين (7-9هـ/13-15م)، مجلة العلوم والدراسات رقم الايداع بدار الكتب الوطنية ، جامعة بنغازي ، 2014.

8. قديرية توكل السيد البنداري: فن صناعة النسيج في العصر الفاطمي ، دراسات في أثار الوطن العربي ،ع16، د ب، دت.

رابعا : المذكرات

1. إلياس حاج عيسى: الحياة الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي (398-547هـ/1107-1152م)، أطروحة دكتورة علوم في التاريخ الوسيط إشراف الأستاذ عبد العزيز لعرج .جامعة الجزائر2، ابو القسم سعد الله السنة 1438-1439هـ م 2017-2018م.
2. أمينة بوتشيش،بجاية ،دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع الهجريين ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي في العصر الوسيط،إشراف عبدلي لخضر ،كلية الأدب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة أبي بكر بلقايد ،تلمسان ،1428/1429/2007-2008م.
3. رفيق بوراس ، الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية (296-362هـ/908-972م)،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي ،قسم التاريخ والآثار ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة متنوري قسنطينة ،2007.2008.
4. سكاكو حورية: التحولات الاقتصادية في بلاد المغرب بداية من القرن(6هـ حتى أواخر القرن 10هـ/12-16م)، أطروحة دكتوراه ، إشراف الأستاذ بودارية مبخوت جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان سنة 1438-1439هـ/2017-2018م
5. شاق سعاد:شريط محمد غنيم محمد عطية ،الطوائف الحرفية ودورها في الحياة العامة في مصر الاسلامي في عصر الدولة الفاطيمية (358_567هـ/968_1116م)،دكتوراه اشراف محمد عبد الله النقيرة كلية الادب جامعة الزقازيق ،مصر 2006 حنان : الحرف في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل الماستر، تيارت2014.
6. مصطفي الزغول جهاد غالي : الحرف والصناعات في الأندلس من الفتح الإسلامي حتي سقوط غرناطة, الجامعة الأردنية, كانون الثاني,1994 عائشة عطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر1700-1830،ج1،رسالة لنيل شهادة الدكتورة، الجزائر ،2000.

7. نظال مؤيد مال الله، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني، رسالة ماجيستراشراف : عبد الواحد ذ ن طه جامعة الموصل ،2004.

الفهرس

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ-ح
الفصل التمهيدي: الصناعة، المصطلح ودلالة المفهوم	9
المبحث الأول: المفهوم اللغوي	12-10
المبحث الثاني: اصطلاحا	18_13
الفصل الأول: واقع النشاط الصناعي في المغرب الأوسط (2-9هـ)	
المبحث الأول: أنواع النشاط الصناعي في الدول	
المطلب الأول: صناعة التعدين	28_20
المطلب الثاني: صناعة النسيج	39-29
المطلب الثالث: الصناعة الخشبية	45-39
المطلب الرابع: الصناعة الغذائية	50-45
المبحث الثاني: العوامل المؤثرة في النشاط الصناعي	
المطلب الأول: العوامل المؤثرة إيجابا	54-51
المطلب الثاني: العوامل المؤثرة سلبا	56-55
المبحث الثالث: السياسة الصناعية	64-56
الفصل الثاني: تطور النشاط الصناعي وعلاقته بالزراعة والتجارة	
المبحث الأول: دور الصناعة في الزراعة	73-66
المبحث الثاني: دور الصناعة في التجارة	77-74
الفصل الثالث: تطور النشاط الصناعي وتأثيره على الحياة الاجتماعية	
المبحث الأول: المستوى المعيشي	89-79
المبحث الثاني: الحياة العامة	110-90
الخاتمة	114-112
الملاحق	121-116

قائمة المراجع و المصادر	132-122

الملخص:

قامت عدد من الحرف والصناعات في المغرب الأوسط وذلك خلال عصر الدوليات المستقلة نذكر بما في ذلك الدولة الرستمية، حيث حولت القبائل من نشاطاتها الرعوية الى قبائل مستقرة تمارس الصناعات بفضل الأمن والاستقرار، وعدالة وحكمة أئمتها أصبحت مقصدا لكل غريب، فظهرت تكوينات اجتماعية أدت أدوارا بارزة في الحياة الاقتصادية بشكل عام وفي الصناعة بشكل خاص وساعدها على ذلك توفر البلاد على المواد الأولية المتنوعة.

أبدعت في كثير من الحرف والصناعات،منها الصناعة النسيجية،والصناعة الجلدية، والصناعة الخزفية والخشبية، وكانت أسواقها تشتهر رواجا لتلك الصناعات خاصة النسيجية التي اشتهرت بها بلاد المغرب الأوسط وأهلها، وموقعها أن تكون محط القوافل التجارية،فأصبحت خارجية يقصدها الناس من كل الأقطار.

Abstract :

A number of crafts and industries emerged in central Morocco during the era of independent dynasties, including the Rustamid state. The tribes transformed from pastoral activities to settled tribes engaged in industries, thanks to security, stability, justice, and the wisdom of their leaders. They became a destination for all strangers, and social formations emerged that played prominent roles in the economic life in general and in the industry in particular. The availability of diverse raw materials in the country facilitated this. They excelled in many crafts and industries, including textile, leather, pottery, and woodwork. Their markets were famous for the popularity of these industries, especially the textile industry, for which the people of central Morocco and its lands were renowned. Its location made it a destination for trade caravans, attracting people from all directions.